

في الذب عن منهاج الفئة المخبتة الطائعة



تقليب الأرض الخاشعة

في الذب عن منهج الفئة الطائعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب:

الحمد لله الذي جعل للحق أنصاراً من أهله ينصرونه بأمر الله، {**ولو شاء ربُّكَ لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**}، اللهم اجعلنا مِمَّنْ رحمت فهديت فجمعت بينه وبين أحبابك وأوليائك على موارد الحب الذي لا سقوط لدولته ولا هزيمة لأنصاره الصادقين المخبتين يوم يقوم الأشهاد.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد.

أما بعد.. فقد كنت متردداً في أمر إظهار هذا الكتيب الذي عصرت فيه لذيذ أويقاتي وثمار معاناتي جامعاً وقاطفاً من بساتين أهلي وسلفي وحدائق قرآني وسنة نبيي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أن رضعة المدارس الحديثة التي رضعتها في زمن ما تفور بين الحين والآخر فتكسبني حاجزاً عن الاستمرار فيما يمليه علي صفاء ضميري وصدق حالي وحقيقة منبتي ومنطلق طموحي.

وفيما أنا قلق حائر في شأن هذا الجامع المتكون أقدم رِجلاً وأؤخر رجلاً أخرى ظهرت لي إشارة لطيفة ذلك اليوم الذي بلغ الأمر فيه النصاب، وكدت أن أطوي ما جمعته في هذا الكتاب، وإذا بي وأنا أشرع وردي بعد صلاة المغرب من كتاب الله تعالى تبادرني الآية الكريمة من أول حزبي {**إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**}[1]، أحسست حينها بانشراح عظيم يداخل روعي ويشاغلني عن صلاتي، فتجوزت فيها ثم حملت القلم لأنتصر لأهلي راغباً وراهباً.

فالحق جل علاه ومكانه قد اصطفى لنفسه تلك الذريات الصالحة مجسداً لنا في كتابنا الروحي معنى الاصطفاء في السلالات الصالحة، وتوجها بشرعية الطلب للذرية الوارثة

---

[1] ( ) آل عمران: ٣٣-٣٤.

حمك وحال نبوة أهلها وأجدادها في قول زكريا {**فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب**}[2]، ماذا يرث المولود المبارك من آل يعقوب غير حفظ التركة الدينية العظمى قولاً وعملاً؟ فماذا يمنعني أن أنتصر لتركة أهلي وسلفي الذين هم على هدي النبوة، عاكفون آناء الليل وأطراف النهار؟

واسترسلت على مصلاي في بحر من الخواطر المتلاحقة حتى لقد خشيت من زحمتها، وإذا أنا بالمناجاة الموسوية القرآنية ترد على الخاطر حاملة صورة البشرى من وجه آخر {**رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي**}[3] فتوقفت هنا، وإذا بالانشراح يتسع ويتسع ويملأ قلبي بأن موسى النبي الملهم لم يختر نصيره في هذه الدعوة العظمى وهذه الرسالة الشماء إلا أحد أهله الذين يطمئن إلى حالهم، فاستجاب الله دعاءه مقرراً مشرعية انتصار الفرع للأصل في سبيل الله والدعوة.

وطاف بخلدي قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب « **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟** »[4]، فاطمأن قلبي إلى هذا الارتباط الشاهد باتصالنا حساً ومعنى، فهارون كان لموسى وزيراً وأخاً وعضداً، وعلياً رضي الله عنه قال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: « **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى** ».

وكفى بهذا الفخر العرقي القائم على الجهاد في سبيل الله من دليل على عظم السلالة وأصلها، وإباحة مطلقة في الانتصار للأب والأهل على طريق الحق والإيمان.

ولَكَم ينتاب العقول البشرية القاصرة من القلق والحيرة حول مسألة الانتصار للأصول ومنهاجهم القويم من كثرة ما تبثه منافيخ السموم العصرية سرية وجهرية، حتى كادت أن

---

٢ ( ) مريم: ٥.

٣ ( ) طه: ٢٥-٢٩.

٤ ( ) متفق عليه.

تثبت في نفوس الأحفاد الغافلين أنه ضرب من المنكر والبدعة والضلالة حديث، عن طريقة سلفية دينية قواعدها الكتاب والسنة.

وقد قرأت فيما قرأت من كتاب الله عن مسألة الانتصار والابتهاج والاعتماد على الأصول والدعاء والرجاء في الفروع نداء (حنا) امرأة عمران، يوم وهبت ما فيها بطنها لله محرراً فكانت أنثى، ولسي الذكر كالأنثى، فكان لهذه الأنثى عند الله مقام عظيم لطهارة الأصل ونزاهة وعفة الفرع، حيث قالت (حنا): {**وإني أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم**}[٥].

ثم لماذا يجهر القرآن بأخبار السلالات وطهارة الذريات الصالحات، وخصوصاً ما كان مناجاة بين الحق وعبده إلا ليقتدي المؤمنون فيتأكد إليهم نفع الارتباط العرقي مع الارتباط الديني.

ولا يغرب عن بالنا مآخذ الحاقدين على هذا العطاء الرباني والاصطفاء السماوي، فنبادر القول أن القبيلة والأبوة لا تفيد بمجردها، ولا تنفع بغير شرطها والدلالات واضحة وبينة.

قصة نوح مع ابنه {**رب إن ابني من أهلي**}[٦] وقول الحق جل وعلا: {**إنه ليس من أهلك**} ثم تفسير أسباب الانقطاع: {**إنه عمل غير صالح**} ثم تعليل لفارق المفهوم العرقي والمفهوم الديني: {**فلا تسألن ما ليس لك به علم**} ثم وصم المتشبثين بالعرقية وحدها: {**إني أعظك أن تكون من الجاهلين**}[٧].

قصة إبراهيم مع أبيه آزر:

ونحن هنا لا ندعو لعرقية مجددة ولا لعصبية مفسدة، ولكنا ندعو إلى طريق ممهدة وإلى سلوك وآداب وحسن اتباع للرسالة النبوية الخالدة، وإلى إحياء سلوك قرآني عصفت به

---

٥ ( ) آل عمران: ٣٦.

٦ ( ) سورة هود: ٤٥

٧ ( ) سورة هود: ٤٦.

المفاهيم العصرية الفاسدة، ولعلي احوج الناس إلى ضمن دائرة الوجود حساً كان أو معنى، قاصٍ كان أو أدنى، فالبعد بعد الأرواح لا بعد الأشباح.

وعسى أن يجعلنا هذا الأمر في ذات الله أحباباً، فالحب في ذات الله غاية المؤمنين وبغية الموقنين، والمتحابون في الل على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء والصديقون والشهداء.

ونسأله تعالى أن يبصرنا طرق الولاية لتطمئن القلوب وتغسل الذنوب ونعلم المصدر الفوقي الذي يجتمع إليه وعليه كل من السالك والمجذوب.

باعث هذا الأمر:

كان باعث هذا الأمر ما رأيته من نفسي ومن غيري من تقصير وعزوف عن مذاهب الخيرات والأعمال الصالحات، وإشغال الوقت والعمر بشتى الترهات مما لا نسأل عنه غداً ولا هو من فروض العين ولا الكفايات، وإهدار الأزمنة في خدمة من لا يستحقون، وذبول زهرات الحياة من الشباب فيما لا يثمر ولا يعود بصالح خاص ولا عام تتحدد أبعاده خيراً على أي مستوى من المستويات، وإنما هو خوض في أودية التسخير والعبودية البشرية المغلفة بأغلفة الحاجة الملة والمصلحة المتبادلة في منفعتي (الأخذ والعطاء).

ولكم خاض أقراني وخضت معهم أودية البحث والاستزادة فيما كنا نعتقده نماء وزيادة، وما كان إلا رجوعاً إلى الوراء وولوجاً فيما تنقصم به أوثق العرى، وشروراً وآثاماً وسلطة للهوى لا تجدي معها دولة العقل المحكوم بالشرع ولا تبين، وقد سبقنا أهل التجربة والعل في هذا الفن الفرضي[8] فعبروا عما يعانون فقالوا:

ما يعرف الشوق إلا من يكابده	ولا الصبابة إلا من يعانيها[9]

[8] ( ) أي الواجب، من الفرضية (بسكون الراء).

[9] ( ) قصيدة ابن بنت الميلق.

ولكنها عند الامتزاج والوقوف من القول مقام الفعل، ومن الشك مقام القطيعة تتظافر الشروط ويظهر باعث الحق من بين أنقاض الباطل بشاهد قرآني يقول: {**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**}[10].

حقيقة المكابدة:

كل جهد مبذول لابد أن تكمن خلفه غاية، وأقصى الغايات هي ما أورثت السعادة الأبدية، والأبدية لا تتحقق على عالم الفناء وإنما تتحقق في عالم البقاء، وصراع الحق مع أعادئه لا يكف ولا ينقطع قدر فواق[11] والذين كان لهم من هذا الدين نصيب يعلمون علم اليقين وحق اليقين أن الحياة جسر زمني مكاني محدود، وفاصل وهمي آني ممدود ينقطع حيث لا تجتمع الأنفاس وينفصم بظواهره إلى عالم الأرماس {**فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً**}[12]، والذين يربطون أنفسهم طوعاً أو كرهاً بأسلافهم وشيوخهم، ويرمون الاختيار ويشخصون إلى الحكمة الكبرى في قوله تعالى {**وأما الجدار..**}[13]، {**يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً* عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً**}[14].

ونحن فيما نذهب إليه لا نحاور غير هؤلاء فلسنا بأهل جدل نجادل، ولا بأهل مطاولة لنطاول، وإنما هي خواطر النفس الراجية الآملة في الله خيراً، واستدعاءات قرعت أبواب القلب فخرجت من أبواب الإحسان على كف مريد سائل، رأت أن في مكابدة القوم لأنفسهم ولأزمنتهم أسوة حسنة، فتركوا للراغبين شروط الغاية والوسيلة مستخلصة من

---

[10] ( ) الإسراء: ٨١.

[11] ( ) الفواق: هو المدى الزمني القصير المعبر عنه في الحديث «**من اعتكف قدر (فواق) ناقة...**» الخ.

[12] ( ) سورة الكهف: ٤٥.

[13] ( ) الكهف: ٨٢.

[14] ( ) الإنسان: ٦.

بين الشوائب والخرائب وقعقعة الكتائب ورحلات الأفلاك والسهر مع وميض الكواكب[15].

ولعل المدرك المنصف يعلم أن بيننا وبينهم مسافة في الحس والمعنى والجوهر والمضمون، يدعم هذا الإتقان ببعد المسافة قول المعلم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: « **كل زمن يأتي والذي بعده شر منه حتى تلقوا الله** »[16]، وقول الأثر: « كل عام ترذلون ».

والشرية والارتذال المتلاحق مع كل جيل إلى ما يليه لا ينحصر في أمر أو سلوك أو مبنى من المباني الدينية أو الدنيوية وإنما ينتشر في كل العناصر المتداولة من الفكر والسلوك والمفاهيم والأعمال والآمال والعبادات والمعاملات والطموحات والوسائل والغايات إلا من عصم الله، والعزاء الوحيد للمؤمن أن يجد لنفسه بين الطائفة الناجية مكاناً يحتويه، أو محبة تأويه، أو شيخاً يهديه حتى ياتي الله بالفتح أو أمر من عنده.

فلنقلب أتربة الحرث الخاشعة ليأذن الله لقلبي أن يحيا، وتحيا معه وبه قلوب شتى {**ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير**}[17].

---

[15] ( ) قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه:

يبقى المكان على آثارهم عطراًقوم كرام السجايا حيثما جلسواحسن التآلف منهم راقني نظراًيهدي التصوف من أخلاقهم طرفاًمن يجر ذيول العز مفتخراًهم أهل ودي وأحبابي الذين همعلى موارد لم آلف بها كدرامن لي وأنى لمثلي أن يزاحمهمبمهجتي وخصوصاً منهم نفراأحبهم وأداريهم وأوثرهم

[16] ( ) رواه البخاري.

[17] ( ) سورة فصلت: ٣٩.

أفضل القصد والفعل والقول:

قال سبحانه وتعالى {**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**}[18]، وقال تعالى {**فبشر عباد* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**}[19]. وقلت سائلاً مولاي التوفيق: المراتب الكلية العليا لا تخول إلا من قبست جذوة الهداية قلبه فاحتكم بأحسن القول، فأطابه الحق جل وعلا لخدمته قائلاً بالأحسن عاملاً بالأصلح متواضعاً في الحال تحت شاهد قوله: {**إنني من المسلمين**}، {**أولئك هم أولوا الألباب**}، والألباب العقول الحكيمة الموفقة الملهمة التي تأخذ لباب الدعوة المحمدية وتنقيص مفاهيم العبارة الشرعية وتتأدب بظاهر وباطن الشريعة الإسلامية.

كتب سيدي الوالد- رحمة الله عليه- لأحد مريديه: « أيها الأخ المحترم: ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع وإلا فهو ضلالة، لأن سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة ولا بالطامات والترهات »[20]...اهـ.

وكتب أيضاً: « واجبات السالك للوصول إلى الكمال أربع:

الأول: اعتقاد صحيح لا يكون فيه (بدعة)، وهي المخالفة للكتاب والسنة.

الثاني: توبة نصوح لا يرجع بعدها أبداً.

الثالث: استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليه حق.

الرابع: تحصيل علوم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله»[21]

---

18 ( ) سورة فصلت: ٣٣.

19 ( ) سورة الزمر: ١٧-١٨.

20 ( ) رسالة مخطوطة ضمن كراس توجيهي منوع المواضيع.

21 ( ) المصدر السابق.

حقيقة العلم وأقوال العلماء:

معروض في ميدان العرض والطلب الروحي أشياء متجانسة ومتباينة ومتشاكلة ومتنافرة، والإنسان هو الآخذ في كل حال بقدر ما يعطي لكون أخذه يقترن بالوعي والإرادة، وهي مسئولية الاختيار السماوية المذكورة في قوله تعالى {**كل نفس بما كسبت رهينة**}[22]، وقوله تعالى {**بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**}[23].

وجدير بمن أخذ شيئاً أن يتدبر أمر الأخذ وحال الأخذ قبل أن يتلبس به، فلربما صعب عليه العود مرة أخرى إلى سوق الاختيار فيستغرق فيما لا طائل تحته.

ولقد علمتنا تجارب الأسلاف وآثارهم أن الطبع يغلب التطبع، وأن كل إناء بما فيه ينضح.

وأول معروضات سوق العرض والطلب الروحي (حقيقة العلم)، والعلم كلمة جامعة شاملة لكل ما انطوت عليه مفاهيم الأزمنة وتجاربها وأحوالها ظاهراً وباطناً ولسنا هنا بصدد البحث عن أصل الكلمة ومدلولها، وإنما نحن بصدد إعطاءها مدلولاً مقصوداً نحن نتناوله ولا نحيد عنه إلى غيره إلا من باب الاستحباب والندب وحب الاطلاع، قال تعالى {**إنما يخشى الله من عباده العلماء**}[24]، وقال أيضاً: {**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط**}[25]، وقال تعالى {**وعلمناه من لدنا علماً**}[26] ، وقال تعالى {**وما أوتيتم من**

---

[22] ( ) المدثر: ٣٨.

[23] ( ) القيامة: ١٥.

[24] ( ) فاطر: ٢٨.

[25] ( ) آل عمران: ١٨.

[26] ( ) سورة الكهف: ٦٥.

العلم إلا قليلاً}[٢٧]، وقال تعالى لنبيه: {**وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً}**[٢٨].

العلم في الآيات الواردات هو الجزء الميسر لما أشرق على قلوب العباد المقربين إلى الذات الأحدية ليتم المعلوم غايةا لتمام بين امتزاج الأرواح وسريان الذكر في هياكل الأشباح فيستحقق التبادل الحضوري من قوله تعالى {**فاذكروني أذكركم**}[٢٩]، وذاك غاية ثمار العلم بشقيه، إذ إذ أن المعارف المنبثقة عن العلم والعمل به تثمر علوماً موهوبة ومكتبسة لا يحق لمن تشرف بشرفها ووقف بعون الله على ذرة من علمها أن يخرجها اختياراً عقلاً أو نقلاً أو سلوكاً عن غايتها المرجوة لكون القسط[٣٠] هو صفة العلماء الذين أدركوا بهداية الله معاني العدل فأقاموه ميزاناً بين الشطح والثبات والرسوخ والوثبات، ومنه الدلالات الواعيات لتسخير أدوات الحياة ووسائلها في الذات لكبح اللذات ولمعرفة الحق الإلهي معرفة ترفع النفس إلى محقوقاتها الغائية.

ومن شط به الخيال أو المعاناة أو جذبة الانفعال البشري مع شآبيب الأنوار خلال وضعه قواعد العلاقة الصافية الصوفية، أو غمرته الأشواق خلال بحثه وجمعه وإنتاجه واستنتاجه أو خلال تأمله وتفكيره، فإنما وزره على نفسه يحاسب عليه شاء أم أبى آجلاً أم عاجلاً.

قال سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه: « إياكم والكذب على الله، {**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً**}[٣١]، ينقلون عن الحلاج أنه قال: « أنا الحق » أخطأ بوهمه لو كان على الحق ما قال أنا الحق، يذكرون له شعراً يوهم الوحدة كل ذلك باطلاً ما أراه رجلاً واصلاً أبداً، ما أراه شرب، ما أراه حضر، ما أراه سمع إلا رنة أو طنيناً فأخذه الوهم من حال إلى

---

٢٧ ( ) سورة الإسراء: ٨٥.

٢٨ ( ) سورة النساء ١١٣.

٢٩ ( ) البقرة: ١٥٢.

٣٠ ( ) القسط: هو العدل.

٣١ ( ) سورة الأنعام: ٢١، ٩٣، ١٤٤.

حال، من ازداد قرباً ولم يزدد خوفاً فهو ممكور به، إياكم والقول بهذه الأقاويل إن هي إلا أباطيل، درج السلف على الحدود بلا تجاوز بالله عليكم هل يتجاوز الحد إلا الجاهل؟ هل يدوس عنوة في الجب إلا الأعمى؟ ما هذا التطاول، وذلك المتطاول ساقط بالجوع، ساقط بالعطش، ساقط بالنوم، ساقط بالوجع ساقط بالفاقة، ساقط بالهرم، ساقط بالعنا، أين هذا التطاول من صدمة صوت {**لِمَنِ المُلْك اليوم**}؟».

العبد متى تجاوز حده مع إخوانه يعد في الحضرة ناقصاً، التجاوز علم ينشر على رأس صاحبه يشهد عليه بالدعوى، يشهد عليه بالغفلة، يشهد عليه بالزهر، يشهد عليه بالحجاب.

يتحدث القوم بالنعم لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية، الحقوق الإلهية تطلبهم في كل قول وفعل، الولاية ليست بفرعونية ولا بنمرودية قال فرعون: « أنا ربكم الأعلى » وقال قائد الأولياء وسيد الأصفياء: « **لست بمَلِكْ** » نزع ثوب التعالي والأمرة والفوقية، كيف يتجرأ العارفون على ذلك، والله تعالى يقول: {**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**}[٣٢].

وصف الافتقار إلى الله وصف المؤمنين {**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**}[٣٣].

هذا الذي أقوله علم القوم، تعلموا هذا العلم فإن جذبات الرحمن في هذا الزمان قلت، اصرفوا الشكوى إلى الله في كل أمر، العاقل لا يشكو إلى ملك أو سلطان، والعاقل كل أعماله لله. اهـ[٣٤]

ومن كلام الإمام الغزال كتب سيدي الوالد في فوائد لبعض مريديه: « الحذر أن تكون واعظاً أو مذكراً أو مرشداً، لأن فيه آفات كثيرة إلا أن تعمل بما تقول أولاً ثم تعظ الناس،

---

٣٢ ( ) سورة يس: ٥٩.

٣٣ ( )سورة فاطر: ١٥.

٣٤ ( ) من كلام الشيخ أحمد الرفاعي، مأخوذ من كراس الفوائد لسيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور المرقومة بخط يده. (البرهان المؤيد للإمام الرفاعي: ٤٨-٥٠، طبعة دار الرفاعي).

فتفكر فيما قيل لعيسى ابن مريم: « يا ابن مريم: عِظْ نفسك، فإنِ اتعظت فعِظْ الناس وإلا فاستح من ربك » وإن ابتليت بهذا العمل فاحذر من التكلف في الكلام بالعبارات والإشارات والطامات والأبيات والأشعار، ومعنى الطامات هي العبارات الجوفاء التي يرددها الدخلاء على الصوفية لأن الله يبغض المتكلفين والمتكلف المتجاوز عن الحد، والتكلف يدل على خراب الباطن وغفلة القلب. اهـ.

ومن كلامه أيضاً: الحذر أيها المسلم من الكذب في القول والفعل والأحلام أو التزكية، قال الله تعالى {**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**}[٣٥]، وقيل لبعض الحكماء: ما هو الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه، فإياك ان تتعود ذلك، واعلم أن ذلك ينقص قدرك عند الناس ويوجب مقتك عند الله، وإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك فانظر إلى أقرانك إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال وفضل أشياخهم وكراماتهم وغيرها، وكيف يستنكرها قلبك عليهم » اهـ.

وقال سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: « إياكم والدعوات الكاذبة فإنها تسود الوجه وتعمي البصيرة » ويقول: « احذر يا أخي أن تدعي أن لك معاملة خالصة أو حالاً، واعلم أنك إن صمت فهو الذي صومك، وإن قمت فهو الذي قومك، وإن عملت فهو الذي استعملك، وإن رأيت فهو الذي اراك، وإن شربت فهو الذي رقى منزلتك، وليس لك في الوسط شيء إلا أن تعترف بأنك عاص مالك حسنة واحدة، وهو صحيح، من أين لك حسنة وهو الذي أحسن إليك، وهو الحاكم فيك إن شاء قبلك وإن شاء ردك ».

وكان رضي الله عنه يقول: « أول الطريق الخروج عن النفس والتلف والضيق والحظ فإن الفلاح والنجاح والصلاح والهدى والأرباح لا تصح إلا لمن ترك الحظ وقابل الأذى والشر بالاحتمال والخير ووسع خُلقه.

---

٣٥ ( ) سورة النجم: ٣٢.

والفقير لا يكون له يد ولا لسان ولا كلام ولا صرف ولا شطح ولا فعل رديء »[36].

وعماد الحال الإخلاص، قال سيدي الحبيب عبد الله بن علوي الحداد: « لا أحد يدعي الإخلاص، بل يلزم حده ولا يتعدى طوره ويعتقد في نفسه الرياء فإنه إن كان كذلك فقد وقف عند حده، وعرف قدره، ولم يتعد طوره، وإن لم يكن كذلك لم يزده ذلك إلا رفعة وقدراً عند الله تعالى ».

وقال رضي الله عنه: « أين الإخلاص اليوم ومما يدلك على أنه عزيز لا يكاد يوجد قول الإمام الشافعي رحمه الله: وددت لو أن انتفع الناس بهذا العلم يعني علمه ولا ينسب إلي منه حرف، فكم أعجبنا كلام هذا لأنه عين الإخلاص وحقيقته وهو عزيز جداً إذ النفس لا تكاد تسمح بمثل هذا أبداً » اهـ[37].

وعلم القوم كان ولا زال علم الوقوف على المضمون الشرعي الصرف الذ أهمله المفرطون والمفرِّطون نمذ بداية الطريق، وذاك حالنا حقاً ونحن به أعلم.

والواصلون من أهل الطريسقة العلوية الأشعرية وهم قدوتنا لهم مجال أوسع من تناولنا، وهم الذين راضوا النفوس بالآداب وحققوا قواعدا لبدايات حتى أشرقت عليهم شموس النهايات، فسالت الحكمة الباهرة من بين دموع الاعتراف وقالوا ما قالوا بلا شطط ولا إسراف، ووضعوا لمن رغب الطريق قواعدا لمجاهدة وأسباب المكابدة تحت الشاهد القرآني {**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين**}[38].

قال سيدي الحبيب عبد الله بن علوي الحداد:

«من أراد الدخول في الطريق الخاصة طريق أهل الله عليه أن يتفرغ عن الدنيا بقلبه وقالبه أولاً، وإنما يدخر قدر الحاجة بأمر آخر في النهاية آخراً، وإشغال الأوقات كلها بالذكر

---

[36] ( ) عن فوائد سيدي الوالد رحمة الله عليه.

[37] ( ) تثبيت الفؤاد، الجزء الثاني.

[38] ( ) سورة العنكبوت: ٦٩.

والطاعات وحفظها كلها والإقبال على أمور الآخرة، كل هذا من الطريق العامة وهي المهيع الواسع الذي كان عليه السلف وهو الذي يسع عامة المسلمين، وأما الخاصة فهي الفراغ عما سوى الله في الظاهر والباطن والتخلي عن الصفات المذمومة بتفصيلها والتحلي بالمحمودة بتفصيلها، العامة على طريق أصحاب اليمين والخاصة للمقربين ولا ينالها أي الخاصة قلب أحكام الأولى أي العامة ولو عاش عمر نوح، ومن لا يحكم صلاته أو زكاته أو نحو ذلك كما ينبغي كيف يصل إلى الخاصة، بل هذا عاده خلف الباب لم يصل إلى قرب الدخول، ولكن من أحكم العامة في هذا الزمان بلغ ما بلغه الخاصة المقربون لانقطاعها فيه وعدم سالكيها »اهـ[39].

وقال رضي الله عنه: الحقائق إذا تبعتها طرائق سلمنا لصاحبها، وإن حقائق بلا طرائق فإنما هي آفة الزندقة، والشريعة علم والطريقة عمل والحقيقة ثمرة[40] ، وإن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً من عبيده وضع له القبول في السماء والأرض غير الآدميين فهم فيه بين محب ومبغض.

ورد في الحديث: « **إنَّ الله تعالى إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال له: إني أحب فلانا فأحبه. فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض** »[41].

قال الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس العدني:

هبت نسيم الماوصلة	بلا اتصال ولا انفصال
بمقتضى مطلع خفي	وليس للعلم به مجال

---

[39] ( ) تثبيت الفؤاد: ١/٤٤.

[40] ( ) تثبيت الفؤاد: ١/٥٥، وهذا تقسيم صوفي لما يمتزج في النفس المؤمنة من ثمرات الإسلام والإيمان والإحسان. اهـ

[41] ( ) رواه مسلم.

لأنه ثمرة اليقين ومرتقى رتبة الكمال

فالاقتداء ثم الاهتدا والاصطفاء حال فوق حال

فمن لزم ما أمر به من العمل واليقين نال

حلول جنات أنسه يجتني ثمرة الوصال

هذه علوم محققة رجالهم نعم من رجال

يقينهم لا ارتياب فيه وهديهم ليس به ضلال

قد اقتدوا ثم جاهدوا وشاهدوا فانتفى المحال

علم اليقين ثم عينه بل حقه ما بق احتمال

وأحياهم بعد موتهم بالجمع في مشاهد الجمال

حتى صفا أبريز تبرهم فلا يساويه قط مال

فالكون قد صار طوعهم ولا يخالف في الانفعال

هذا هو الملك بلا مرا بلا انعزال ولا انحلال[42]

تمت وصلوا على النبي مهذب القول والفعال

وأصحابه سادة الورى وآله خير كل آل

أسلافنا الصالحون نعم القدوة المثلى:

من البديهيات المعلومة لدى الغالبية العظمى من الناس في البلاد الإسلامية أن الصراع بين الحق والباطل لم ينته ولم تنحسم معاركه إلى الأبد، ولقد كانت بدء الصراع الشرعي بين الإسلامي الصرف وعناصر الجاهلية والوثنية والقبلية وما آل إليها ومن حولها منذ سطع

---

[42] ( ) سلفنا لا يلتفتون إليا لغلو المفرط ولا إلى الاقتصاد الجاهل في مسائل الخلاف بين أهل علم الكلام ومطاعن الفرق، وإنما هم يقفون عند الذي جاء في القرآن بلا أدنى تجوز ولا افتتان خروجاً من سفسطة الجدليين قديماً وحديثاً.

نور الإسلام على الجزيرة، ورجحت كفة الحق يوم نزل قوله تعالى {**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**}[٤٣].

فما ترى منذ ذلك الحين إلا ديناً ناصعاً وقرآناً ساطعاً وحجة بينة حولت اليابس إلى اخضرار، وأبدلت الخوف بالاستقرار، وجعلت السيف وسيلة للشهادة في سبيل الله وإعلاء كلمته، وأنبتت في صدور المؤمنين عقيدة وشريعة وسلوكاً مرضياً وأخلاقاً زكية ومجاهدة للنفس والهوى والشيطان والدنيا على طريق اتباع ما أمروا به واجتناب ما نهوا عنه.

وأجرى الحق حكمه في إتمام النعمة العظمى فأعلن للأمة المرحومة إكمال هذا الدين من حيث القواعد والأسس والقوانين {**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**}[٤٤].

ولم يوسَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبره الشريف إلا وعناصر الدين قائمة وشروط الإسلام والإيمان بجدارتها في الصدور جاثمة.

وانكشف الستار فيما تلاحق من حركة الليالي والأيام عن فتن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حذر من مغبتها، وأنذر الانصياع إلى محنتها أو الاستشراف إلى جهتها، فكان من أمر الفتن ما كان، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ونبت بين الركام والآلام قوم كانت لهم أصالة النسب شرفاً وأرومة وحسن الطاعة للمولى والاتباع للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ديناً وسلوكاً حملوا على عواتقهم هم الأمرين وفتنة العصرين فما صعدت رائحة فتنة إلا وأغلقوا نوافذ قلوبهم، ولا ظهرت جدلية مذهبية إلا وآثروا الخمول والجهل بها، ولا بنات بارقة صراع إلا وولوا فراراً منها، لهم في صمتهم دعوة بالغة، وفي حركتهم نفحة ربانية عابقة، وفي كلامهم جاذب قلبي وبرهان غيبي قوي، امتحنوا في سالف العصور فصبروا، شاهدهم قول الحق جل وعلا:

---

[٤٣] ( ) سورة الإسراء: ٨١.

[٤٤] ( ) سورة المائدة: ٣.

{ألم* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين}[٤٥].

واشتد أوار الفتنة وخصوصاً في القرن الثالث الهجري بالعراق وما حولها حيث كان أولئك السادة يقيمون وعلى آدابهم وسلوكهم وحفظ دينهم وشرفهم ينشأون وينشئون، وأصبحت تلك البلاد مهددة بدعاة الفتن والنحل والمذاهب وضعف أمر الخلافة الإسلامية حتى طمع فيها الآيب والذاهب فجد عزم الأب المهاجر على الهجرة من أرض البصرة فاراً بدينه وأهله من الشرور والفجور، فكانت هجرته سنة ٣١٧هـ مع بعض أولاده وخاصته وترك البعض للإبقاء بها على شمل الأواصر والروابط وللعناية بما بقي من الأبناء والأموال والأرض.

وقد أشارت كتب التاريخ الماضي والقريب إلى هذه الهجرة المباركة أوسع إشارة، ونحن هنا بصدد توضيح الغاية التي بنى عليها المهاجر هجرته العظيمى المقامة على نية سليمة باعثها قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: « **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** ».

قال الإمام الحداد:

تحامى عن الدنيا وهاجر فارا	إلى الله والأحداث ذات الأضرام
من البصرة الخضراء يخترق القرى	ويلحق أغواراً لها بآكام
إلى أن أتى الوادي المبارك فارتضى	ومد به أطنابه لخيام
فأصبح فيه ثاوياً متوطناً	بذرية مزمومة بزمام
من البر والتقوى وحسن شمائل	كرام السجايا أردفت بكرام
بهم أصبح الوادي أنيساً وعامراً	أميناً ومأموناً بغير حسام

---

[٤٥] ( ) العنكبوت: ١-٢.

لقد كانت نهاية المطاف من رحلة الإماما لمهاجر رضي الله عنه هو المقام بالوادي المبارك الميمون متنقلاً بين المدائن والقرى باحثاً عن الموقع الملائم الذي يكون منطلق الإيمان وموطن الإحسان له ولذريته التي تحمل من أجلها عناء الغربة والارتحال حيث لم يستقر في رحلته الطويلة من البصرة إلى الحجاز والمدينة المنورة واليمن إلا لما لامست قدماه وشهدت عيناه واطمئن فؤاده بهذه الأرض النائية المباركية حتى توفي ودفن بالحسيسة سنة ٣٤٥هـ بعد أن استغرق قرابة ربع قرن في جنبات الوادي ينافح ويكافح لإرساء القواعد الإسلامية الصحيحة[٤٦]، وظهر من بعده أولاده وأحفاده، وكان منهم الإمام عبد الله بن أحمد بن عيسى أول من تنفس الأنفاس الصوفية في أرض حضرموت، حيث ذكر أن شيخه في هذا الفن هو الإمام أبو طالب المكي شيخ أهل السنة المتوفي سنة ٣٨٦هـ[٤٧]، مع طول باع كان عليه الإمام عبد الله في العلم اولعمل والأخلاق والإخلاص حتى كان يسمي نفسه بـ(عبيد الله) تواضعاً منه لله تعالى، وورث العمل والعلم من بعده تلاميذه الأبرار، وكان منهم أبناؤه الثلاثة (بصري، وعلوي، وجديد)[٤٨] ومن سار بسيرتهم واقتدى بهديهم وهدي آبائهم الكرام إلى المصدر الأول والمنبع الأصلي لهذا الدين القويم والسلوك القرآني المستقيم.

العلويون والطريقة العلوية بحضرموت:

قال الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في كتابه (فيض الأسرار: ٣٢٤): « واعلم أن إطلاق اسم العلوية في العرف والاصطلاح الخاص على كل من ينسب إلى سيدنا الإمام علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله شرعاً واصطلاحاً لا لغة، وفي الأصل يطلق ذلك على كل رفيع وعلى من فاق أقرانه، والعلوي لغة يطلق على كل من ينسب إلى من يسمى

---

[٤٦] ( ) راجع أدوار التاريخ الحضرمي: ١٦٥، ١٩٦٢– للأستاذ محمد بن أحمد الشاطري.

[٤٧] ( ) راجع: المصدر السابق.

[٤٨] ( ) راجع: تاج الأعراس: ١/٢٧٥.

بـ(علي) ثم خصص اصطلاحاً بكل من ينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم خصص ثانياً وأطلق على كل من ينسب إلى علوي ابن عبيد الله، إذ لم يبق من ذرية المهاجر إلى الله تعالى إلا أولاد علوي المذكور فأطلق الاسم عليهم » اهـ.

وأما طريقتهم فهي طريق الكتاب العزيز والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح بغير غلو ولا تشديد ولا استحداث أوضاع وتخيلات لاستجلاب الخوارق ولا جمع فكر أو توجه لغير الله ولو على جهة الارتباط ولا وضع من حركات واستحضارات واستخدام، وإنما طريقتهم الزهد، وجمع القلب على الله والعزلة والإقبال على أداء الفرائض والإكثار من النوافل وذكر الله مع الحضور والإخلاص وكف النفس عن الشهوات[49].

وخلاصة الأمر فيما يتعلق بشأن هذه الطريق المباركة، إنها سبب موصل إلى الله تعالى على نسق الشريعة الغراء مضمونها الأهم إعداد الزاد إلى الطريق الأخلى بشاهد قول الحق جل وعلا {**وللآخرة خير لك من الأولى**}[50] والعمل بها لا يلزم المريد غير ما ألزمه به مولاه ودعا إليه رسول الله ومجتباه مع الأخذ بالأسباب وجمع الرزق من طرق الحلال وعرق الجبين وكدا اليمين مع الورع والأمانة وتجنب الغش والتطفيف والمخادعة والمخاتلة والحيلة وصرف الحرام والشبه المفضية إلى كدورة القلب وإفساد الإقبال على الله وهي طريق الخذ بمكارم الأخلاق العالية التي بدأ بها رسول الخير والإيمان محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »[51].

وما كانت انتقال الإمام لامهاجر عن أرض الرافدين إلا رغبة في وجود المناخ الملائم لإتمام المكارم الأخلاقية النبوية التي كانت جزءاً من الإرث النبوي العظيم والتي ظلت حبيسة القلوب وبين أضلاع الأئمة الفحول أبان القلاقل والاضطرابات والفتن المتعاقبة.

---

[49] ( )عقود الألماس: ٢/٥١، الفصل الرابع.

[50] ( ) سورة الضحى: ٤.

[51] ( ) رواه الإمام مالك في الموطأ.

ولذلك فقد أثمرت هذه الطريقة ثمارها بمجرد وجودها في الأرض الخصبة المنبتة، وأصبح بواقع التجربة مدرسة دينية أخلاقية علمية وعملية هدفها كسب الوقت في سبيل الإعمار القلبي وإقامة الأبنية الداخلية المتينة ضد موجات الأفكار الدخيلة والتيارات النحرفة الغريبة التي أجهضت حقائق المضمون الإسلامي الحنيف وحولته إلى صراع وتنافس على الحطام ورتب الجاه والمال والحكم.

لقد تفردت المدرسة التربوية العلوية في حضرموت بمنهاجها السلوكي العلمي العملي حتى صارت مدرسة مستقلة في طابعها الخاص والعام، شاهد رجالها قول الله تعالى: {**تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود**}[٥٢].

ولما كانت الطريق قد أثمرت ثمارها وظهر أساطين علمها وسلوكها صار من العيب والعار خروج الأحفاد والأبناء عن مضمونها أو التشمم إلى غيرها من المذاهب والمدارس أو نقدها وثلب أسلوبها وقواعدها لمجرد التأثر بتيارات المذاهب الأخرى، وفي ها المضمار كتب الحبيب الداعية القدوة الذي يعد في عصره حجة التأليف والتصنيف ومحجة السالك الراغب في الاتباع للطريق السوي القويم لصحتها الحبيب عبد الله بن علوي الحداد فقال: « لا يصح لأحد من آل با علوي أن يخالف المنهج الذي درج عليه أسلافه ولا أن يميل عن طريقتهم وسيرتهم بأن يتبع وينجر ويلقي القياد لكل من يدعي التسليك والتحكيم ممن تخالف سيرته وطريقته طريق آل أبي علوي وسيرتهم، لأن طريقتهم هي التي يشهد الكتاب والسنة الكريمة والآثار المرضية وسيرة السلف الكرام لأنهم تلقوا ذلك خلفاً عن سلف، وأباً عن جد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم في ذلك متفاوتون فمن فاضل وأفضل وكامل وأكمل.

---

٥٢ ( ) سورة الفتح: ٢٩.

وقال رضي الله عنه: « إنما يحسن وينبغي لمن كان من آل أبي علوي أن يدعوا الناس ويستتبعوهم إلى الطريقة التي هم عليها، ول يحسن أن ينبذوا طريقة سلفه وتزيا بغير زيهم رضي الله عنهم ».

وقال رض الله عنه: « ما من أهل طيرق إلا وقد خلطوا وبدلوا وخالفوا هدى سلفهم ما عدا آل أبي علوي »[٥٣]اهـ.

ولا يعتقد القارئ أن الطريقة محصورة على آل أبي علوي وحدهم فيتهمها بما يتهمه أهل الآراء الفاسدة من قولهم بالعنصرية وضيق الأفق والسيادة العائلية التي يتحدث بها منحرفو التفكير في عصورنا اليوم، وإنما هي مدرسة تربوية وضع قواعدها وأسس طريقتها نخبة السادة العلويين الذين ورثوا هذا العلم كابراً عن كابر إلى رسول الله صليا لله عليه وآله وسلم، فهي طريقة متوارثة الأدب والهدى من صالح إلى صالح، ومن عارف إلى عارف، ومن مؤمن إلى مؤمن، لم يدخل في سير سلوكهم ولا وضع مناهجهم المباركة رأي أجنبي ولا تخطيط غربي ولا شرقي، هم حملة التربية النقية السوية التي كان عليها أتباع خير البرية.

فإذا كانت هذه المدرسة الروحية الراقية قد فتحت أبوابها العملية منذ عهد المهاجر وأولاده ليتربى على هديها كل من في ذلك الوادي المبارك من علويين وغير علويين، فهي بالعلويين أحرى وأشرف وهم على تركها وإهمالها ملومون ومعتبون فبدائلها الأخرى لا تؤدي ذات الغرض الأسمى (والمنصرف عن منفعة أهل بيته لن يفيد بالضرورة غيرهم) ولن يستفيد غير الشكل والقشور، ويصبح بذلك لساناً معادياً لأهل النور أو أن يتوب ويسلك ما يسلكه المبرور.

ولعمري إن كان الغرض هو الوصول إلى ما وصل إليه السادات والرغبة أكيدة والعزم صادق لدى المريد السالك، فما المنجا ولا المخرج من الفتنة المحيطة بالإنسان إلا اتباع هذه الطريقة السلفية عن علم وزهادة وورع وتقوى وحسنى وزيادة.

---

٥٣ ( ) عقود الألماس: ٢٥.

وقد بلغ حق التبصرة بهذا المنهاج السليم مبلغ الوجوب خصوصاً على من ذاق من مشربهم وعرف معنى ومبنى أمرهم، وتطلع إلى مصدر علمهم ونهلهم.

وأما حال الذين عمو وصمو وأسرهم حالهم وواقعهم وشهوة حظوظهم، فما هم فيه كفاية وكفى، الهجل لهم نصيب والطعن في الأسلاف مطلبهم من بعيد وقريب ونسأل الله لنا ولهم الهداية، فأسلافنا الذين نحن بصدد التبيان عن أمرهم وحالهم لم يكونوا أسطورة تاريخ ولا آلهة تعبد، وإنما هم بشر ممن خلق الله عرفوا قدر أنفسهم فهذبوها ووعوا ما طلب منهم فأدبوها وراضوها واندرجت أخلاقهم تحت أخلاق آباء وأمهات صالحين وصالحات قانتين وقانتات عابدين وعابدات لا يسمع صبيهم غير القرآن ولا ينطق كبيرهم إلا بمفاهيم القرآن ولا يتسابقون إلا على حفظ ودرس القرآن ومنهاج القرآن، وحري بمن كان هذا حاله منذ صباه أن ينشأ أن ينشأ طاهر المحتوى نظيف القلب سليم الصدر حسن الأخلاق.

إن كنت تعجب من هذا فلا عجب	لله في الكون أسرار ترى فيه[٥٤].

ومن هذا المفهوم الروحي الواضح نرى أن الأسلاف الأوائل لم يدعوا شيئاً غير محقق، وإنما كانت لهم من الأعمال والأخلاق ما تحيرت العقول فيه وفيهم من العلوم والمعارف اللدنية مالا سبيل إليه إلا بذات الشروط المنصوص عيلها في كتاب الله تعالى المؤيدة بالأحاديث القدسية والآثار النبوية والسير السلفية المرضية.

قوم كرام السجايا حيثما جلسوا	يبقى المكان على آثارهم عطراً
يهدي التصوف من أخلاقهم طرفاً	حسن التآلف منهم راقني نظراً
هم أهل ودي وأحبابي الذين هم	ممن يجر ذيول العز مفتخراً

على هذا درج الأسلاف رضي الله عنهم، وعلى هذا ينبغي أن يدعي الراغبون من آل أبي علوي ومن غيرهم إلى طريق الفلاح والنجاح والوصول إلى أشرف المأمول فالطريق السلفي العلوي أوسط الطرق وأعدلها فأمورها مرتبة على السنة المشرفة والعوائد الحسنة إذ

---

٥٤ ( ) من قصيدة ابن بنت الميلق.

هي علم وعمل[55] وورع[56] وخوف من الله وإخلاص له عز وجل، وقد أشبع الحديث عن أمر هذه الطريقة المعتدلة الحبيب عيدرو بن عمر الحبشي في قبته المسمى (عقد اليواقيت) حيث نقل من جملة ما نقل جواباً للإمام الجامع لاعارف المحقق عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه باعلوي على سؤءال ورد إليه من طريق السادة آل أبي علوي...ما هي؟ وكيف هي؟ وهل يكفي في تعريفها اتباع الكتاب والسنة أم لا؟ وهل بينهما تخالف؟ وهل يخالفها غيرها من الطرق أم لا؟.. فقال رضي الله عنه: « اعلم أن طريق السادة آل باعلوي أحد طرق الصوفية التي أساسها اتباع الكتاب والسنة ورأسها صدق الافتقار وشهود المنة فهي اتباع المنصوص المنصوص على وجه مخصوص، وتهذيب الأصول لتقريب الوصول، فلهذا فوائد ونفع معلوم يزيد على ما يقتضيه اتباع الكتاب والسنة على وجه العموم وذلك علم الأحكام المشتمل المتعلق بظاهر الأحكام أصل موضوعه عام في عام، شامل لما المقصود منه ربط النظام وتقييد الطغام وغيرهم من العوام، ولا شك أن الناس مختلفون في الدين في كل مقام فلابد من علم خاص لكل مخصوص، وهو محل نظر الخواص في حقيقة التقوى وتحقيق الإخلاص فإنه صراط مستقيم، أدق من الشعرة وأحد من السيف لا يكفي فيه التعليم بالعموم بل لابد منه لكل جزئي تعريف دقيق، وهذا هو علم التصوف، والسلوك به إلى الله تعالى طريق الصوفية، فظاهرها علم وعمل بمقتضاه، وباطنها صدق التوجه إلى الله تعالى بما يرضاه فيما يرضاه، فهي جامعة لكل خلف سُنّي سني، مانعة من كل وصف دني، غايتها القرب إلى الله والفتح الهني، فهي طريق أوصاف وأعمال وتحقيق أسرار ومقامات وأحوال يتلقاها الرجال عن الرجال بالتحقيق والذوق والفعل والانفعال.

---

[55] ( ) عرف الإمام الغزالي (العلم والعمل): بأنهما جوهران لأجلهما كانكل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين ووعظ الواعظين نظر الناظرين بل لأجلهما نزلت الكتب وأرسلت الرسل (اهـ، والمراد بها العمل بالعلم).

[56] ( ) الورع في اللغة: الكف والانقباض عن الشيء غير المرضي ومنه (ورع اللص ولا تراعه) أي بادر إلى كفه، وعند الصوفية هو الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس على كل طرفة (اهـ).

قال صاحب (الرشفات):

ومن يكن بكل علم عالم

ولم يذقها فهو ساهٍ نايم

فخف عليه ما يخاف الهايم

عند كفاح الموت والأهوال

ونيلها من منح فيض وهبي

أو فتح فضل بعد جد كسبي

لا من روايات الورى والكتب

ولا بقيل علمها أو قال

طوبى لمن طاب لها استعداده

وانحل من رق السوى قيادة

فنجل من عين الحجا رشاده

فذاق منها بلة ببال

فبلة من كاسها المختوم

تملي رياض القلب بالعلوم

وتحفظ الفهم عن الوهوم

وتطلق العقل من العقال[٥٧].

وقال السيد العلامة أحمد بن زين الحبشي في نبذته المختصرة المسماة بـ(تبصرة الولي) والتي أملاها عليه الحبيب عبد الله بن علوي الحداد بمسجد الأوابين عشية الثلاثاء العاشر من شهر القعدة الحرام سنة ١١٠٠هـ قال: « وبهذا يعلم أن طريق السادة بني علوي ليس إلا

٥٧ ( ) عقد اليواقيت: ٣٣-٣٤.

الكتاب والسنة، وهم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون، فمنهم متوسط في ذلك، وكامل، وأكمل فهم على المهيع الأوسط الموصل إلى الله تعالى من سار عليه.

إلا أن سلوكه متفاوت، فمن سالك في مسلكه الأوسط وهو عزيز جداً، ومن منتهج جانباً منه، ومن سائر على طرفه سواء، ومن سائر بسير السائرين عليه، فاعلم أن طريقة السادة آل أبي علوي هي صراط الله المستقيم، وهم من الذين أنعم الله عليهم بطاعته وطاعة رسوله ومعية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما، وما خالف طريقة آل أبي علوي بحيث يضادها فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله لأن مدار طريقتهم على عقيدة السلف الصالح وتصحيح التقوى والزهد في الدنيا ولزوم التواضع ومعانقة العبادة ومواصلة الأوراد واستشعار الخوف وكمال اليقين وحسنا لأخلاق وإصلاح النيات وتطهير القلوب والطويات ومجانبة العيوب الخفيات والجليات وحقيقة الفاضل والأفضل ما هو كذلك عند الله، وعندية الله هنا من علمه في خلقه ولا يحيطه أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم، وأعلى الناس وأعظمهم أقربهم إلى العلي العظيم، والقرب منه سبحانه يكون بحسب قوة الإيمان واليقين والإحسان وإقامة الفرائض والإكثار من النوافل والتخلق بأخلاق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من الرحمة والرأفة وملك الأشياء، والتقدس عن الأوصاف غير الكاملة والسلامة منها، وإعطاء الأمان والاطلاع على حقائق الأمور وعلو الرتبة إلى آخر أوصافه الحسنى، وكل هذا من الحق الواضح »[٥٨] انتهى ما أورده الحبيب القدوة عيدروس بن عمر في كتابه (عقد اليواقيت).

ولرب قائل يقول: ما فائدة الاتباع المقيد بهذه الطريقة الصوفية ما دام المسلم قائم بأمور دينه، ومؤدٍّ لحق مولاه على أية صورة وهيئة وحالة وفي أي مكان من البسيطة؟ أيحصر الدين

---

٥٨ ( ) عقد اليواقيت: ٣٢-٣٣.

والإسلام في اتباع هذه الطريقة وينفي غيرها من المذاهب والآراء التي لا تدعو إلا إلى اتباع السنة والكتاب بلا ارتباط ولا شروط ولا قيود يضعها أهل طريقة ولا جماعة؟

ولما كان هذا السؤال هو المحور الذي يبني عليه الطاعنون في هذه الطريقة أمر احتجاجهم وبه يتغلغلون في نسف الارتباطات الدينية القائمة على المدارس السلفية ليجدوا به المدخل الشرعي لتحويل العقليات الدينية المحافظة في عصرنا إلى ما يدعون هم إليه ويتبنونه كمدرسة جديدة لها أسسها وقواعدها تقوم على محاربة كل دعة سالفة لفئة سلفية أو جماعة صوفية بحجة رحابة الدين وسعة مصادره ومحاوره لتكون نتيجة الدعوة تهيئة المناخ الملائم لقبول البديل العصري القائم سواء كان البديل مذهب ديني آخر ومدرسة أخرى أو كان دعوة منحرفة من دعوات الردة والانحراف والإلحاد وغيرها، فإن المحاورة التي نضعها أهل هذا الطريق السلفي تتلخص فيما يلي:

١- كل مذهب وفئة وجماعة تتخذ الكتاب والسنة لها دليلاً وهادياً قولاً وفعلاً وحركةً وسكوناً فهي تلتقي مع طريقة أسلافنا جوهراً ومضموناً، ولا خلاف في الجوهر، وعلى هذه القاعدة تفسر الوسائط الموصلة إلى الله بالمدارس التي تلتقي ضمن غاية واحدة وهدف واحد، وبهذا يبطل الاحتجاج القائل بالطعن في الأسلوب التربوي الصوفي بين مدرسة ومدرسة يجمع فيما بينهم المصير والغاية.

٢- من مظاهر الحياة القائمة في عصرنا وفي غيره أن تحرص كل جماعة على تأييد مذهبها ومدرستها التي تلقت به روافد المعرفة والعلوم ليس لنفي الغير وإنما من باب البروز في مادةا لتخصص التي ألفتها الجماعات وبنت عليها قواعد المذهب وقوانين السلوك ولربما بلغ مذهب من المذاهب إلى قمة السلطةا لروحية والسياسية فتراه يبذل كل ما يملك من مال وجاه وأثر وتأثير في سبيل احتواء كل مذهب أو رأي يخالف نصوص الأخذ لدى المذهب الحاكم ولو

بطرق غير مباشرة، إضافة إلى خلق أجواء القلق والتعتيم والطعن في فروع المذهب المعاصر لمنهاجه ومدرسته.

وإذا كان الحال كذلك وشواهده قائمة البرهان في كثير من بلاد الإسلام، فلا غرو أن تكون المدرسة الصوفية العلوية بحضرموت تعرض أسلوب دعوتها ووسائط منهاجها الروحي الناجح في تخريج الآلاف من الدعاة والعلماء والمفكرين والصلحاء والأولياء والأقطاب العاملين على قدم التجريد لله رب العالمين في جو من السلام والأمان ومع ذلك فإن العرض الروحي المرسوم في منهاج هذه الطريقة المباركة لا يملك للإقناع والمحاجة غير السلوك العملي الواضح على كل من هاجر إلى الله تعلاى بنفسه وماله وعقله وعلمه من عصر الإمام المهاجر أحمد بن عيسى حتى عصر الأئمة القائمين بهذا الأمر في عصرنا، ممن إذا رؤوا ذُكِرَ الله.

٣- كانت بحضرموت ونواحيها مذاهب شتى وآراء جمعة لم توافق على المظهر الروحي القائم عند أصحاب الطريقة العلوية فأخذت على عاتقها منذ فجر الهجرة الأولى للإمام المهاجر محاربة الدعوة العلوية وعرقلة انتشار رجالها ورسل دعوتها واتهامهم بشتى انواع التشريك والابتداع والخروج عن الشرع الحنيف، كل ذلك لغرض دنيء ومريض أنتج في حمأته اتساع رقعة الملتفين من أهل حضرموت على هذه الدعوة المباركة الطيبة الصوفية، فكانت لهم مناراً، وكان رجالها خير قدوة يقتدى بهم ويحتذى بأقوالها وأفعالهم وذاب المعادون في المحيط الخضم الهادر وانتصر السلوك القرآني على الحذلقة اللفظية والبراهين القولية والاقتباسات والقياسات والاستنباطات الجدلية.

٤- كل مذهب ومدرسة تخالف ما دعا إليه أسلافنا الصالحون قولاً وعملاً يعرض على كتاب الله وسنة رسوله وهدي الصحابة والتابعين وينظر في كينونة تركيبها وهيكل بنائها وموقع دعوتها وحالها من الحرام والحلال والبدعة والسنة وموافقة القول العمل في المظهر الخاص والعام وفي العلاقات الداخلية

للجماعة والخارجية وعلى هذه المقاييس السليمة تقسم الادعاءات وتصنف الآراء والنظريات ويختبر صحيح الدين من فاسده، ونقي الشرع من مغشوشه مع اعتبار الأحاديث الشريفة المنصوص عليها في كتب الحديث عن مظاهر آخر الأزمنة وما يظهر فيها على أيدي أهل العلم الأدعياء كالطعن في السلف وتصدر الأحداث للفتيا وكثرة الخطباء والقراء وعلماء الفتنة الذين حذر منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكفى بها من فتنة أن يطعن دعي بالعلم في مثل عصرنا المشبوه حساً ومعنى على أمثال عصر المهاجر وأبناءه وأحفاده الذين بحضرموت وخارجها سواء على صعيد الوطن ذاته أو بما بلغ من السادة العلماء إلى الهند والسواحل وجز إندونيسيا والفلبين والصين وإفريقيا، وكان ذلك أول ثمار الفتح الإيجابي لنصرة دين الله وشريعته، خلافاً لما تمخض بعد ذلك من ثراء علمي وديني ومظهر روحي عظيم.

الطريقة العلوية بين الموافقة والمعارضة:

لاشك أن المطالبين في الوجود بوقوف الخلق على رأي واحد ورؤية واحدة أمر محال، وطريقة أسلافنا رضي الله عنهم ليست رأياً ولا نظرية فكرية مبتدعة، وإنما هي طريق موصل إلى الله على طريق الإسلام الخالص عبر عنها الإمام الحداد بقوله:

فحسبك فانزل حيثما نزل الهدى

وكن حيثما كان التورع والتقوى

وسر في طريق القوم واتبع سبيلهم

فذاك سبيل ما أسد وما أضوى

وخذ بكتاب الله جل جلاله

على كل حال تبلغ الغاية القصوى

وإياك والدنيا الغرور وحبها

وإيثارها فالحرص من أعظم البلوى

وكن ذاكراً لله في كل حالة

وكن مخلصاً لله في السر والنجوى

وكن عاملاً لله بالطاعة التي

هي الزاد للأخرى ودع كل ما ألوى[59].

والمؤمن المستبصر الذي يفتح عين عقله وهو يستمع اليوم للألسن المريضة الخائضة في منهاج السلف الصالح يفهم الطبيعة الإنسانية في محاربة ما تجهل ويدرك أن شموخ الطريقة العلوية لن يسلم من طعن عدو تبكيت حاسد وتحريف مغال وإشاعة كاذبة مطلقة.

ولما كان الأذى يبين للمتبعين سنن هذا الطريق أن كل إناء بما فيه ينضح، فما على المتبع السالك إلا إعذار الجاهل والدعاء للمعاند والاتجاه إلى المولى جلت قدرته أن يصلح الفاسد من أهل الإسلام ليدركوا سلامة الطريقة لذلك الفريق، فالطريقة العلوية برزت كمعالج روحي سليم خلال تلك المرحلة الأولى من وجودها على أرض حضرموت، ولا زالت شروط نجاحها قائمة إلى اليوم والليلة تستقبل في كل بقعة من الأرض رجالاً ترهفهم حذلقة الألسن المنحرفة وتقلقهم سفسطة المنكرين لمدرسة السلف الروحية فيجدون في اتباع منهاجها القرآني وسلوكها النبوي الرحماني خير معالج لأدواء النفوس والقلوب والجوارح.

ولم تمنع الطريقة العلوية عاملاً عن عمله، ولا تاجراً عن تجاربته، ولا صانعاً عن صناعته، ولا طالب علم عن طلب علمه، إنما هي هذبت لهم طرق المسير في زحام التفكير فدلتهم على جوهر الخلق النبوي وعرفتهم على أقرب الطرق الموصلة إلى النور الرباني.

ولذلك فمن الخير أن نبين للمطلع الراغب موقف الطريقة العلوية من معارضيها وأعدائها وموقفهم منها، وإليك البيان:

---

[59] ( ) الديوان: ٢٠٢، الطبعة الثانية.

المدارس المعارضة والمناوئة للعلويين بحضرموت:

كان خروج الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى من العراق إلى حضرموت قراراً تاريخياً عظيماً في ذات الوقت فالفتنة المذهبية التي كانت تذكيها اختلاف العناصر الداخلة إلى الإسلام وطموح الفئات المتناحرة للبلوغ إلى مواقع التأثير في العاصمة الإسلامية وما حولها مما جعل البقاء على عين الحق أمراً غير ممكن ولا متصور، فإما أن يخوض السادة الأشراف غمار الفتنة لإظهار نور الحق دون تكافؤ في الشروط ودون اكتمال للأسباب فيضيع الحق وأهله، وتلك رغبة الأعداء والحاقدين، وإما أن تكون حلول أخرى تنزع بالإمام وأهله إلى المحافظة الدائمة على هذا الأصل الشريف المنيف وعلى ما في صدورهم من الحق والعلم والأمانات، فكان لابد من الرحيل إلى حيث الأمان.

وقد أورد السيد المحقق ضياء شهاب الدين في كتاب (شمس الظهيرة) في نسب أهل البيت تعليقاً على هجرة الإمام المهاجر من العراق إلى حضرموت أبدى فيه لمحات جيدة من المذاهب الأخرى التي كانت قائمة في حضرموت عند دخول الإمام المهاجر[٦٠]، فمما أورده في هذا المضمار قوله: « وقف المهاجر بالمدينة إلى سنة ٣١٨هـ ولم يحج في السنة الأولى وقد اتصل بجماعة من أهل حضرموت وذكروا له بلاده بكل خير، وزينوا له الهجرة إليها فبعد ما حج ارتحل بمن معه إلى اليمن يتنقل من بلاد إلى بلاد حتى وصل حضرموت سنة ٣٢٠هـ.

وأول بلد وصل إليه المهاجر هي بلدة (الجبيل) التي خسَّن أهلها للسيد أحمد المهاجر الهجرة إليهم وهي في وادي دوعن، وسكانها من أهل السنة أو من الشيعة المعتدلة، وكلهم أعداء الأباضية الموجودين آنذاك في أعلى حضرموت وأسلفها.

وقال أيضاً عن الإمام المهاجر: « وكانت إقامته بحضرموت من سنة ٣٢٠هـ إلى ٣٤٥هـ وهو معاصر للدولة الزيادية الأموية وللدولة الزيدية الهاشمسة في اليمن، وكان عالماً واعظاً

---

[٦٠] ( ) أخذ التعليق من (أشعة الأنوار) للشيخ محمد بن سالم البيحاني.

فصيحاً حارب الأباضية وغيرهم من القرامطة والمخالفين بلسانه وقيل بالسلاح أ]ضاً، ومعه من السنيين والشيعة من ينفذ أمره ويقف إلى جانبه لما عرفوا من فضله وكفاءته. اهـ[٦١]

وجاء في (مجلة الرابطة: ٢٩٦/٥، ذي الحجة ١٣٤٦هـ) أن الإمام أحمد بن عيسى لم يأت إلى حضرموت طلباً لحطام الدنيا وما بحضرموت شيء من حطامها وما نعلم بلداً من بلاد الله هي أشد ضنكاً ولا ضيقاً منها مع ما بليت به في أكثر العصور من الفتن والثورات والحروب وتولع العصائب والغزاة بغزوها، وكل من سمع بخبر حضرموت أو عرفها تحقق أن سيدنا أحمد بن عيسى ومن بعده من ذريته لم يكونوا ليرحلوا من ريف العراق وخصبه إلى ضنك هذا الوادي وجدبه تكثراً من حطام أو طمعاً في طعام، ولكنه هاجر مع أهله وولده هرباً بدينهم من الفتن وبأنفسهم من معرات الجيوش وتهم الجواسيس واضطهاد الجبابرة اهـ.

وأورد صاحب (عقود الألماس) خبر سلاطين تريم ومن قضى على الخوارج منهم وذكر أن هؤلاء السلاطين أنهم خلصاء لذرية الشريف عبد الله بن أحمد بن عيسى بن علي العريضي[٦٢].

وقد أخمد الله نار الفتن بحضرموت بعد أن نافح هؤلاء السادة الأشراف لتثبيت قواعد السنة والجماعة [٦٣].

وظلت حضرموت خلال مراحلها المختلفة سلماً وحرباً تحتضن هذا المذهب المبارك ويتخرج من عيون مدنها وعواصمها رجالاً أفذاذاً لم توهنهم الفتن اللاحقة ولم ينحرفوا عن مسار أسلافهم رغم الابتلاءات التي مرت بوادي حضرموت من حملات الأكراد[٦٤] والإسراف في قتل العلماء والصلحاء والسلب والنهب الذي عاثته جيوش الغزاة، والجدير

---

[٦١] ( ) شمس الظهيرة.

[٦٢] ( ) عقود الألماس: ١١٦/٢.

[٦٣] ( ) للتوسع في هذا المضمار راجع التراجم المختصة بذلك.

[٦٤] ( ) أيام حكما لزنجاري على عدن وحملته على حضرموت سنة ٥٧٧هـ.

بالذكر هنا هو نقطة التحول التي اختارها الإمام الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي في سير طريق السادة لاعلويين بحضرموت من عجل الطريق الصوفي مذهباً رسمياً ومنهاجاً تعلمياً ومن كسر السلاح ومنع حمله عيل أبنائه ومريديه وسنتناول هذا الأمر عند الكلام عنه في موضع إن شاء الله تعالى.

وكتب الحبيب عبد الله بن علوي بن حسن العطاس في كتابه (العلم النبراس) عن طريقة آل أبي علوي والطرق الصوفية الأخرى وما بينهما من اتفاق واختلاف فقال: « ليس بين آل أبي علوي في طريقهم تخالف وإنما اختلف الشهود بحسب المشاهدة واختلاف الشهود فظاهر بالجمال شاهد بالفضل في مشاهدا لأفضال فباح بالنوال واستباح ما فعل وقال بحسب البسط والحال، وباطن ظاهره الجلال فاستعفى واستقال ولازم الافتقار والانكسار في جميع الأعمال والأحوال فلا فرق بينهم يقتضي التفريق ولا مباينة على التحقيق.

وأما طريق غير السادة آل أبي علوي من طرق الصوفيةا لصحيحة الوفية[٦٥] فلا تخالفها في الأصول ولا في حقيقة السلوك والوصول وإنما الخلاف في رسوم وأوضاع ومشارب تؤول إلى المحافظة في تقريب الطريق على الطالب[٦٦] غايتها كالاختلاف في الفروع بين أهل

---

[٦٥] ( ) يستفاد من العبارة أن هناك طرقاً صوفية منحرفة لعلها هي السبب فيما يظهر على التصوف من حملات دعائية سيئة.

[٦٦] ( ) يحتج كثير من المعارضين للتصوف بأن الصوفية مدرسة مبتدعة في الأصول والفروع، ويتهمها المستشرقون وعدد من العلماء المحدثين بأن كثيراً من منهاجها مقتبس من الرهبنة النصرانية واليهودية، والحق الذي لا غبار عليه أن التحامل المنهجي الذي يبني عليه بعض الدارسين والباحثين أحكامهم يؤول بهم إلى هذه الأقوال الجائرة، مع أن للتصوف الصحيح علماء وباحثين ودارسين أنصفوه واستخلصوا لبابه فوجدوه حق التشريع وعين الدعوة المحمدية.

وأما الخلاف في الفروع والمشارب فلست أدري لماذا يجعلها هؤلاء المقننون تشريع الإسلام على رغباتهم ومشاربهم مردودة في الأصل والنقل مع أن الحياة المعاصرة وكل حياة حضارية لابد أن

المذاهب من حيث أنه في أشياء تابعة وفروع دقيقة كأنه لا خلاف في الحقيقة بل من اتصف وتحقق بالتحقيق رأيا لحق واحداً وحقق أنه ليس من أهل الحق خلاف ولا تفريق لأن الفروع وإن تعددت فالأصل متحد بكل طريق قال تعالى {**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر**

تقتبس من مدارس غيرها في المناهج والهياكل التربوية، وحتى جامعاتنا اليوم وهياكلنا التربوية في أكثر بلاد الإسلام حرباً للبدعة هي من ألفها إلى يائها مبنية على النظريات الغربية أو الشرقية، وليست في المنحى ما يعيب إذا كانا لمرء يعترف حقاً بالأثر والتأثير بين الثقافات مع العناية بأصول الدين أن لا تترجح كفة دخيلة على منهاجها ولكن العيب يكمن في وصمهم مدرسة الصوفية من قمتها إلى قاعدتها دون استثناء وإخراجها من دائرة الإسلام بحجة أنها فكرة أجنبية تعزل الإسلام عن ميدان الحياة، ولا يفكرون بهذه المقايس أن مدارسنا اليوم هي فكرة أجنبية تعزل الإسلام عين العزل عنا لتطبيق الروحي لتجعل منه قشوراً يدين بها البر والفاجر، إن مدارس الصوفية باستثناء الشواذ قد أخرجت للإسلام دعاة عظاماء في نواحٍ شتى من العالم وميزتهم فيمن حولهم التفرد والسلوك الصالح، ولا أدري ماذا تفوج مدارس العصر الاستشراقية التي أنجبت أفواج المتكلمين على الصالحين من أهل الله سوى خدام وعمال وسماسرة لشركات التجارات الدولية في الوطن الإسلامي، وكان من أعظم ما اتفقوا عليه أن جعلوا الإسلام من عهد الرسالة إلى عهدهم مسجوناً لخدمة ما يرونه من الأفكار والمناهج، يكفرون ويبدعون ويمدحون ويذمون ويفاضلون ويأخذون ويردون، وقد يبلغ الشطط والغرور إلى نقد بعض الصحابة والتابعين والأئمةا لمجتهدين اعتقاداً منهم أن أولئك الصحابة ومن لحقهم كانوا أقل اطلاعاً منهم على صحيح السنة والحديث، بل ربما يظن بعضهم أنهم أقل ثبتاً وأخذاً بالحق وكم في الكون من أعاجيب.

إن مشكلة الصراع لا تكمن إلا في بوتقة واحدة وهي: أن كلا يغني على ليلاه، فالذين درسوا الحياة من طريق المدارس المعادية للتصوف حساً ومعنى، وجعلوا الدين دينهم والحكم حكمهم والشريعة طيعة لمنهاجهم ووقف الاتساع والاستنباط والجحة إلا من حيث يقفون، وأما الذين ذاقوا حقيقة الوجدان الروحي في عالم التصوف المستقيم فهم لا يغلقون نافذة الدين على أحد ويقولون: {**كل من عند ربنا...وما يذكر إلا ألو الألباب**}اهـ

على المشركين ما تدعوهم إليه}[٦٧]، وقال تعالى {**لا نفرق بين أحد من رسله**}[٦٨]، وقال تعالى {**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين**}[٦٩]، وقال تعالى: {**إنا أوحينا إليك** }[٧٠]، قال صاحب (الرشفات):

تفرقوا في شعب الإسلام

وافترقوا في ظاهر الأحكام

واتفقوا في القصد والمرام

وقصد وجه الله ذي الجلال

فكم كذا الرسل بنو علات

طريقهم واحدة بالذات

تعدد بالرسم والهيئات

في كل تفصيل بلا انفصال

واختلفوا في صفة القريبة

وفي اتصال القوة الكسبية

أو انعطاق نفحة جذبية

يرفع عنه كلفة الأثقال

وبعضهم ما زال في تشييد

---

٦٧ ( ) سورة الشورى: ١٣.

٦٨ ( ) سورة البقرة: ٢٨٥.

٦٩ ( ) سورة النساء: ١٦٣.

٧٠ ( ) سورة آل عمران: ٨١.

في جهده وزهده الشديد

مراقباً زواجر الوعيد

مترقباً للموت والمآل[71].

وإنما اتفقوا على منع المريد في ابتداء سلوكه من تتبع الطرق وخروج من شيخ إلى شيخ لأن ذلك يضره بتفريق همته وتشتيت جمعه فإ، قلبه في الابتداء أمره كالجريح، يضره كل تخليط وريح إلى أن يبرأ ويندمل على يد طبيبه الذي به تعلق ومداويه الذي عرف طبه وحقق[72] اهـ.

وأما الفرق والنحل والمذاهب الأخرى التي خرجت عن دائرة الكتاب والسنة وبدلت وحرفت فموقف سادتنا العلويين منهم واضح كل الوضح ويمنعون تلاميذه وأبناءهم من مطالعة كتب هذه الفرق أو الاشتغال بها وبأخبارها وأحوالها.

وهناك من المذاهب والنحل من يوجه سموم التنقيص والطعن إلى منهاج السادة العلويين إلى الله، ولربما قام بهذا لادور عنهم بعض الأحفاد الذين اختلطوا في أسفارهم ورحلاتهم بهذه الفرق والمذاهب.

---

71 ( ) العلم النبراس: ٢٢، ذيل سبيل المهتدين، نقل مختصراً.

72 ( ) العلم والنبراس: ٢٣، ورجال التربية في عصرنا هذا يؤمنون بمذهب الالتزام بمدرسة وأستاذ مخصص، ويرون أن من أسباب فشل الطلاب في مراحل تعليمهم تغير شخصية المعلم في المادة الواحدة، وما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟ إذا قيل لهم أن مدرسة التصوف تؤمن بفكرة حماية المريد على شتت الزمن وتمزيق وحدة الفكر قالوا تأليف وابتداع، وكأنما هم لا يدركون حدود المعاني للكلمات اولعبارات التي بها يتحدثون! ولعمري لست أدري كيف اتفق في ذا العصر الوبيء علماء الصناعات ومفكروا الدول الإسلامية أو بعضها مع أقطاب الإلحاد والشيوعية في نقد المدرسة الصوفية من وجهة نظر واحدة فالمتأمل لما يقوله الملحدون في العالم الإسلامي والمغربون أيضاً يتفق في غالب أحواله مع ما تهذي به المؤلفات الاستشراقية ضد التصوف وأهله بلا استثناء إلا القليل القليل.

وقد شهدت حضرموت خلال أزمنة ماضية قريبة وبعيدة صوراً من هذا الصراع والمقارعة التي شب نارها بعض أحفاد العلويين ضد أسلوب آبائهم الخاص والعام، وقصدهم كما يقولون- والله أعلم- الإصلاح والخير والتعديل يف بعض الجوانب المنهجية لتكون ملائمة للحياة المتطورة.

وكان هذا المبرر الذي قوي جناحه فيما بعد أول عامل من عوامل إدخال صور التحديث في حضرموت منافساً للمنهاج العلوي المتوارث حيث جر هذا الحديث نفسه على المراحل اللاحقة وأظهر ذيولاً أخرى ساهمت في تقليص هيبة ونفوذ المنهاج الروحي الأسمى بحيث أوجدت صراعاً جديداً مهد فيما بعد لقبول دخول التعليم الحكومي الرسمي الذي تشرف عليه الإدارات الأجنبية.

وقد اثبت صاحب تاريخ الشعراء طرفاً مما حصل من المحاورات والمقارعات بين دعاة التخديث وأنصار المنهاج السلفي، فمن ذلك (رسالة نحلة الوطن) والتي كتبها أحد أحفاد السادة العلويين المقيمين بجاوة، ولما وصلت إلى حضرموت صنف بعض علماء الطريقة العلوية وأحفاد السلسلة المباركة رسالة رد سماها (إتحاف أهل القبلة بالرد على صاحب النحلة) ولا مجال لذكر تفاصيل الأصول والردود هنا، وإنما نشير إلى الأبيات التي كتبها سيدي الجد علوي بن عبد الرحمن بن أبي بكر المشهور في هذا المضمار وهي:

حمداً لذي الفضل كم أعطى وكم سلبا[٧٣]

من العقول وكم أعمى وكم عطبا

قضى على من نأى في حال محنته

---

٧٣ ( ) كتب سيدي الجد علوي في صدر الأبيات ما صورته: رداً على من نقم على اصطلاح آل حضرموت في لباسهم وذم فيها صنيع جبهته الحضرمية مفتخراً بأبياته الردية ونسي أنه مقيم في بلاد كفرية وديار جاوية، ولوحظ المعنى الذي اقتضيه المعية لعدل بين الصنفين بالسوية ولقال تالياً: {وكذلك زيناً لكل أمة عملهم} اهـ من الديوان.

فصار يستحسن المرذول واعجبا

ويؤثر الضد عن ما كان مبتهجاً

به زماناً وفي أغراضه نكبا

تجاهلاً قال في قول له سمج

فهل أتاك بما في حضرموت نبا

صبراً أخا العزم فيما قال من سفه

ولم يراع لهذا الموطن الأدبا

أعماك جهل وعنك العقل منتزح

سكنت حيا عليه الله قد غضبا

فيه المجوس جوار واليهود معا

كذا النصارى ومن أرخى له ذنبا

ومعشر من قرود قولهم عجج

أشجاك حتى عليك الطبع قد غلبا

ناشدتك الله هل شاهدت في بلد

كحضرموت لتيجات الشعور نبا

ذوائباً كجناح زانه طرر

وكم بها لسليم الطبع ما سلبا

إلى أن قال:

طف حيث شئت فإني خضت ناحية الـ

آفاق طراً وقد فتشتها حقبا

وكتب أيضاً في هذا الموضوع:

مقامك لا يقضي بما قلته أصلاً

وتخجلك الأقولا عن أن ترى قولاً

رميت الحمى وأهل الحمى بعظائم

عنادا تريد النصح حاشاهم غفلاً

تزودهم سبا تسميه نحلة

تعست لقد طوقت جيدهم الغلا

وحقدك في أهل الفضائل مت به

كمامات ما أبديته في الملا جهلا

ومن عجب أهداء تمر لخيبر

متى كنت ممن يرسلون الهدى رسلا

وقوك ما للسابقين مؤلف

ولا بيت شعر ورميتهم الكلا

أليس مقال الناصحين لنا هدى

وعلامة الدنيا لإرشادنا دلا

بنظم ونثر ثم حدادنا أتى

بنصح عظيم في محافلنا يتلى

وكم بعده من سادة وأئمة

إلى يومنا جازاهم الملك الأعلى[٧٤].

وقد كان لهذا الصراع الأدبي والاجتماعي دور لا يستهان به في إدخال الطريقة العلوية وأتباعه محك الاختار من حيث أن أذرعة المناوئين ليست أذرعة خارجة عن السلالة العلوية وإنما هي من ذات الطينة والمنبت، وكطبيعة الحياة البشرية وسنتها لابد أن يظهر للحق أعوان وللشر أعوان، حيث استمرت دعوة التحديث وإدخال العلوم العصرية بفروعها المختلفة

---

٧٤ ( ) تاريخ الشعراء: ٤/٢٠٧، وقوله: « علامة الدنيا » في البيت السابق إشارة إلى الحبيب عبد الرحمن بن أحمد بلفقيه باعلوي. اهـ

استجابة للتطور المحيط في حياة الأمة وكان مع كل دعوة للتطور والتحديث يتم بالمقابل إهمال وترك لصور وهيئات وأساليب من الحياة الصوفية وأثر وتأثير حتى أثمرت المدارس المحدثة والمعاهد المنافسة جيلاً غربت عن سلوكه وحياته الخاصة وعن منهاجه المدرسي أسس الطريق الواضح فصار في تاريخه اللاحق نقمة على آثار أهله وسلفها لصالحين إلا من عصم الله.

ولا زال النقد والهدم والاتهام المريض يوجه من ألسنة الكثيرة من الأحفاد فضلاً عن غيرهم إلى ما تبقى من معالم السلفا لصالح رغبة منهم في إسقاط راية الصوفية العلوية لتحل محلها بدائل العصر في أحدث صور التغيير، وقد كان في آخر المطاف من مشاهداتنا القريبة نجاح المدارس المعارضة والمناوئة ودعوات الردة والإلحاد والزندقة والانحلال في الاستحواذ على مواقع التأثير التربوي والتعليمي في منبع السلوك الأسمى والدعوةا لروحية الأجلى بـ(حضرموت).

ومع ذلك فالمنهاج السلفي الصوفي العلوي السني لا يزال نابضاً بالحياة في صور شتى ومواقع متفرقة من العالم الإسلامي وأيضاً في موطنه الأصلي حضرموت، رغم الحرب الخفية والعلنية، نسأل الله أن يقيض من أهله وأبنائه من يعيد الأمر إلى نصابه، وما ذلك على الله بعزيز.

الأخذ بطريق السلف الصالح ليس ابتداع ولا هروب:

من عجيب الأمور فيما نقرأ أو ما نسمع تحامل العديد من الكتاب والمفكرين قديماً وحديثاً على مدارس التصوف عموماً وخصوصاً والأعجب من ذلك أن التصوف بمدارسه العديدة ونعني بها المدارس الموافقة للكتاب والسنة لم يلتفت إليهذا التحامل إلا منحيث التبيين لمنهجه، ورياضاته وغاياته وإلا فالصوفيون الحقيقيون كانوا يرون العذر في كل ما يسلك فيه معارضوهم خصوصاً عندما يكون الدافع الأوحد عة الانتصار للشريعة الإسلامية وقد قيل سلفاً أن الإمام العلامة ابن المقرئ رحمه الله تعالى مؤلد (الإرشاد) كان

يصرخ في وجوههم علناً وبلغ به المر أن قال فيما قال: « ليتهم كانوا يهوداً ليتهم كانوا نصارى » ومنعه رحمه الله كثيراً من استحسانهم كالمواجيد والسماع والغناء والرقص لدى بعضهم وعده منكراً بشعاً، كما وضع الفقيه العلامة ابن الجوزي كتاباً سماه (تلبيس إبليس) عرض فيه لأحوال الصوفية بالذم والتقريع وهو كتاب يقوم على أساس الشرع والعقل، وقد عاب عليهم أن يظنوا ان المراد من رياضة النفوس هو قمع البواطن منا لصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور إزالة ما في الطبع بالرياضةوإنما خلقت الشهوات لفادة، فلولا شهوة الطعام لهلك اللسان، ولولا شهوةا لنكاح لانقطع النسل وإنما المراد كف النفس عما يؤذي من جميع ذلك وردها إلى الاعتدال فيه اهـ.

وعلى هذا المنوال أو قريباً منه يقف عدد كبير من العلماء والمؤلفين والمفكرين في دائرة الإسلام والمسلمين وقد تناول المصنفون للتصوف الذائقون مشاربه النقية هذه المسائل المحدودة المتعلقة بم يتفرد به الصوفية في نظرتهم ومعالجتهم للحياة وسلوك طريق الآخرة، وعلى رأس هؤلاء العلماء المنصفين يأتي حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وفي مؤلفاته الغنية والكافية للراغب في فهم الطريق عموماً وقد وقفت فيما وقفت عليه من كتب المفكرين والمتأخرين كتاب (التصوف الإسلامي) للدكتور زكي مبارك حيث تناول يفه التصوف في مصر خلال تجربته الصوفية وما بعدها وما قبلها بإسهاب وتوسع ولا يخلو قوله وحواره من تحامل وضعف في معالجاته وآرائه، ومع ذلك فقد أنصفهم في بعض الجوانب الوجدانية والذوقية، منها قوله في صفحة ٣٠ الجزء الأول: « ...أي والله كان للصوفية أدبهو أعلى وأشرف من أدب البحتري والمتنبي وأبي العلاء، ولكن طافت بالناس طائفة من الجهل فتوهموا أن لا صلة يبن الأدب والدين » اهـ.

وقال الحبيب عمر بن سقاف السقاف العلوي الحسيني في هذا المعنى:

علموا وذاقوا شربة الأقداح

فغدوا ولم يدروا بغذل اللاحي

طعموا الذي جهل البعيد فويله

لو كان يسعد شم ريح الراح

وعلى العموم فلربما وجد المنتقدون بعض العذر أو كل العذر في انتقاداتهم على ما أحدثه الغلاة وابتدعه بعض أهل الطرق الصوفية مما يخالف ظاهر الشرع ولكن هذا الانتقاد لا يحسن إذا هم تحدثوا عن طريقة السلف الصالح من السادة العلوية بحضرموت حيث أن طريقتهم لا تخالف في أصولها ولا في فروعاه صحيح الكتاب والسنة أو ما يطلق عليه بظاهر الشرع، وأما ما استحدثوه واستحبوه من بعض المظاهر والعادات والاستحسانات والقواعد في طريقتهم فكلها لا تعارض نصاً شرعياً صريحاً ولهم فيها ما له أصل من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، ولا ينكر ذلك إلا متحامل أو متجاهل أو من ينكر التصوف بعمومه وخصوصه.

ولذلك فالذين يقفون من أحفاد العلويين موقف الرفض من سلوك طريق أهلهم وأجدادهم بحجة الابتداع في هذه الطريق فنقول لهم بيقين التجربة وبعين الالتزام بالشرع: إنَّ طريق سلفنا الصالح هي أقرب الطرق الموصلة إلى الله بلا حدود ولا شروط ولا ابتداع، وإنما هو عينا لاتباع، وإذا كان حاضركم لا يوافق من طريقة أجدادكم إلا ما وافق الكتاب والسنة فتعالوا بنا نعرض سلوك القوم وأفعالهم وآثارهم على الكتاب والسنة ودعوا لنا ما سوى ذلك وعلينا تبعة البدعة التي تنزهتم في هذا العصر عن التلبس بها لكونها لم ترد في نص صريح ولم يعمل بها على عهد الرسالة والصحابة.

إنا لعجيب الغريب في عصر الربا والحرام والشبهة والتكالب على الحطام والتفريط في الواجبات الدنية الأساسية واستتباع الشهوات الساكنة والمتحركة والمسموعة والمرئية أن تجد من ينفض غبار السيجار عن ملابسه ومن يعتدل في جلسته على أفخر الموائد والمآرب والفرش المبتدعة الوثيرة ومن يطل من المنابر المزخرفة المسركشة ومن تستغرقه البدع الدينية والدنيوية في مكتبه ومسكنه ومسجده ومدرسته وفي أعماق أعماق قلبه أن يحارب البدعةا لحسنة لأنها جاءت على يد أهل الذوق والتصوف وأصحاب السلوك القرآني لاصحيح، ولا

يقف عند هذا الحد وإنما ينكر كل بدعة محدثة مهما كان نوعها ودليلها مادامت قد برزت على صعيد الوجود دون إذن مذهبي ممن يرون وصايتهم على الحلال والحرام والسنة والبدعة.

لقد كان السلف الصالح أئمة ف الخير والهدى، بل كانوا لا يرغبون الجدل ولا هدر الوقت في المناظرات والمحاجحات وعماد أمرهم على العمل ولا غير، يقول الحبيب أحمد بن حسن العطاس مخاطباً أحد مريديه[٧٥]: « اجعل السلف الصالح نصب عينيك واقتد بهم في حركاتك وسكناتك، وإذا أردت فعل شيء اعرضه عليا لشرع وعلى أحوال السلف وألإعالهم المقيدة بالشرع والذين هم على بصيرة من الله في جميع أحوالهم، فإن بلغك أن أحداً منهم فعل هذا الفعل الذي أردته فافعله واقتد به وإن لم يبلغك أن أحداً منهم فعله فإياك والمحدثات والمستحسنات الناشئة عن الهوى، ولا حول ولا قوة إلا بالله » اهـ.

المدرستا لعلوية الصوفية الأشعرية ومنهاجها:

قال الحبيب عبد لاله بن علوي الحداد في كلامه: « وعليك بتحصين معتقدك وإصلاحه وتقديمه على منهاج الفرقة الناجية وهي المعروفة من بين سائر الفرق الإسلامية بأهل السنة والجماعة وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وأنت إذا نظرت بفهم مستقيم عن قلب سليم في نصوص الكتاب والسنة المتمضنة لعلوم الإيمان وطالعت سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين علمت وتحققت أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله الذي رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرر أدلتها، وهي العقيدة التي أجمعت عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان وهي عقيدة جميع أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري رحمه الله في أول رسالته، وهي بحمد الله عقيدتنا وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل علوي وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا، وكان الإمام المهاجر غلى الله جد السادة المذكورين سيدي

---

٧٥ ( ) عقود الألماس: ١/٥٧-٥٨.

أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم لما رأى ظهور البدع وكثرة الأهاوء واختلاف الآراء بالعراق هاجر منها ولم يزل يتنقل من أرض إلى أرض حتى أتى حضرموت وأقام بها إلى أ، توفي، فبار الله في عقبه حتى اشتهر منهم الجم الغفير بالعلم والعباةد والولاية والمعرفة، ولم يعرض لهم ما عرض لجماعات من أهل البيت النبوي من انتحال البدع والأهواء المضلة ببركات نية هذا الإمام المؤتمن وفراره بدينه من موطن الفتن».

وذكر السيد الجامع المحقق علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد في كتابه (عقود الألماس) عن هذه الطريقة المباركة: «ينبغي لكل مؤمن أن يحصن معتقده بحفظ عقيدة الأئمة المجمع على جلالتهم ورسوخهم في العلم ولا أحسب مبتغى ذلك يصادق عقيدة جامعة واضحة بعيدة عن الشبه سالمة من الأشياء الموهمة مثل (عقيدة الإمام الغزالي) التي أوردها ف الفصل الأول من كتاب (قواعد العقائد) من الإحياء فعليك بها لإإن تشوفت إلى مزيد فانظر في (الرسالة القدسية) التي أوردها في الفصل الثالث من الكتاب المذكور، ولا تتوغل في علم الكلام ولا تكثر الخوض فيه لمجرد طلب التحقق في المعرفة فإنك لا تظفر بهذا المطلوب من هذا العلم ولكن إن أردت التحقق في المعرفة فعليك بسلوك طريقته وهي التزام التقوى ظاهراً وباطناً وتدبر الآيات والأخبار والنظر في ملكوت السماوات والأرض على قصد الاعتبار وتهذيب أخلاق النفس وتلطيف كثافتها بحسن الرياضة وتصقيل مرآة القلب بملازمة الذكر والفكر والإعراض عما يشغل عن التجرد لهذا الأمر فهذا سبيل التحصيل إن سلكته عثرت إن شاء الله على المطلوب وظفرت بالأمر المرغوب» اهـ، وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في بعض قصائده:

عليك بتحصين اليقين فإنه

إذا تم صار الغيب عيناً بلا نكر

وكن أشعرياً في اعتقادك إنه

هو المنهل الصافي عن الزيغ والكفر

وقد حرر القطب الإمام ملاذنا

عقيدته فهي الشفاء من الضر

وأعني به من ليس ينعت غيره

بحجة إسلام فيالك من فخر

وأورد الإمام عبد الله العيدروس الأكبر في كتابه (الكبريت الأحمر) عن عقيدة العلويين عقيدة أهل السنة والجماعة فقال: « اعتقادنا اعتقاد الأشعرية ومذهبنا مذهب الشافعية على مقتضى الكتاب اولسنة، وقال أيضاً: عقيدتي أشعرية هاشمية شرعية كعقائد الشافعية والسنية الصوفية »[٧٦].

وذكر الحبيب الداعي إلى الله محسن بن علوي بن سقاف السقاف في كتابه (تعريف الخلف بسيرة السلف) نقلاً عن غرر البهاء الضوي للعلامة المحدث السيد محمد بن علي خرد العلوي الحسيني قوله: « فسيدنا عبد الله بن أحمد بن عيسى وذريته وهم أشراف حسينيون يمنيون عز مثلهم في الناس لقول الإمام سفيان رحمه الله: خمسة عزو- أي قل وجودهم- وذكر منهم الشريف السني وطريق هؤلاء المذكورين سنية وأخلاقهم نبوية يعرف ذو الأنصاف بديهة أنهم حقيقة سادة قادة أشراف ذوو إنصاف واتصاف ».

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في وصف المؤسسين الأوائل للطريق العلوي بحضرموت: « اثنان لهم المنة على آل أبي علوي: سيدنا أحمد بن عيسى خرج بهم من الفتن والبدع، والفقيه المقدم سلمهم من حمل السلاح، وسلفنا ينهون عن علم الكلام[٧٧]، ويأخذون في آيات الصفات وأحاديثها وفي المتشابهات بالتفويض والتسليم والإيمان وعدم التكييف والتشبيه مع غاية التنزيه والتقديس وتعظيم جانب الألوهية ».

---

٧٦ ( ) عقود الألماس: ٢/٩٠.

٧٧ ( ) علم الكلام: علم يبحث يف مجادلات الفرق والنحل في مسائل الملة والعقيدة مما أبلغهم إلى البدعة والتكفير والتشريك والخروج عن الجادة.

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ما معناه: « إنما أخذنا بقول الأشعري لأنه يقول: آمنت بالله وبآيات الله وبرسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد الله ومراد رسول الله، أو كما قال »[78].

وجملة قولنا: « إنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله لا نرد من ذلك شيئاً، ولا نبتدع في دين الله مالم يأذن لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم، وقال أيضاً: والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره »اهـ.

وعليك أن تعتقد أن ما صرح به سلفك من أنهم على مذهب السنة والجماعة من لدن آبائهم إلى اليوم حق وصدق ليس فيه تأويل، ولا يدخله تخصيص، ولا يسمع معه قول معترض، ولا نقر ناقد ولا تكذيب مفتون، وأن ما قالوه ثابت لديهم بالنقل أباً عن أب وخلفاً عن سلف، مؤيد بالنقول الصريحة الواضحة المسندة في كتب الحديث » اهـ[79].

ومذهبهم رضي الله عنهم عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفة حق الأفضلية المتفق عليها للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقد أخرج الحافظ ابن أبي نعيم في حلبة الأولياء بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: « قال محمد بن علي: يا جابر: بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلعهم أني إلى الله بريء منهم، والذي

---

[78] ( ) عقود الألماس: ٢/٩٢، وسلفنا يقفون من هذا العلم إلى هذا الحد، ولا يكلفون تلاميذهم البحث فيما وراء ذلك حرصاً على جمع الهم فيما هو أجدة، ورغبة في الاتباع للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والذ ثبت عنه السكوت فيها.

[79] ( ) عقود الألماس: ٢/٩٣.

نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ولا نالتي شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما » اهـ[٨٠].

كما أنهم ينهون عن مطالعة ما يشتمل من رسائل التصوف على الأمور الغامضة والرقائق المجردة كمؤلفات ابن عربي، وبعض رسائل الغزالي كالمعراج والمضنون به وغيرها من الكتب والرسائل التي تجري مجراها حيث أن كثيراً مما عكفوا على مطالعة هذه الكتب صاروا إلى الزندقة والإلحاد وقالوا بالحلول والاتحاد، وقد أشار الحبيب عبد الله بن علوي الحداد إلى تلميذه الحبيب أحمد بن زين الحبشي في رسالة حول هذا الصدد قال فيها: « وما استشرتم فيه من تحصيل كتاب (اليواقيت) للشيخ الشعراني رحمه الله، فالصواب في هذه الساعة تأخير التحصيل فيه لأن الكتاب فيه أشياء مشكلة وهو كالمستغني عنه بما ألفه المتقدمين من المتكلمين والمحققين[٨١] اهـ.

وأورد صاحب (عقد اليواقيت والجواهر) قوله: « ففي مواهب القدوس في مناقب القدوس في مناقب الشيخ أبي بكر العيدروس للشيخ محمد بن عمر بحرق قال: سمعت سيدي- يعني الشيخ أبا بكر- يقول: لا أذكر أن والدي رحمه الله ضربني ولا انتهرني قط إلا مرة واحدة بسبب أنه رأى بيدي جزءاً من الفتوحات المكية لابن عربي فغضب غضباً شديداً فهجرتها من يومئذ »اهـ.

---

٨٠ ( ) عقود الألماس: ٢/٩٤، يقصد محمد بن علي (بن الحنفية) اهـ.

٨١ ( ) عقود الألماس: ٢/١٠٠، ويأخذ كثير منا لمعارضين للمنهاج الصوفي هذه المؤلفات المنهي عنها وعن مطالعتها لتكفير أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام، ويعبرون كل آخذ بطريقة لاتصوف تخريب بنيان الإسلام وأهله الصالحين وإنما يقفون عند المنع من مطالعة هذه الكتب والتعلق بها ويوكلون أمرهم فيها الصحابة والتابعين فلا ينهجون منهج الخوارج في التكفير ولا منهج أهل الفرق في الجدال، ويكفي العمل والاتباععلى ما وافق الكتاب والسنة ورضيه الراسخون في العلم اهـ.

وكتب سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد إلى بعض أصحابه: لا تعلق خاطرك بالشيخ ابن عربي وإضرابه فإن ذلك معجزته وربما دعا بعض الناس إلى الدعوى بما لا يبلغه وعليك بالعلوم الغزالية وما جرى مجراها من الصوفيات والفقهيات التي هي علوم الشرع وصريح الكاتب والسنة فثم السلام والغنيمة واحترز مما سوى ذلك فإنه ربما يشوش على الإنسان سلوكه »[٨٢] اهـ.

وغالب ما يوصي به السلف لأبنائهم ومريديهم في المطالعة بقراءة الكتب الغزالية المذكورة في كلامه خصوصاً لما فيها منا لتحقيق والتدقيق المبني على الشرع الحنيف، ولما جمع الله لصحابها من العلم والعمل ونور القلب حتى إن هداه للتأليف والتصنيف في عصر كانت التيارات المذهبية والنحل الفكرية تعصف بالعقول وتموج بالأفئدة كتبه في غالبها ثمرة واعية لمعالجة عصره المتناقض على ضوء الكتاب والسنة الشريفة.

فكتابه (بداية الهداية) يعد لدى السلف الصالح أول كتب المريدين قراءة وتطبيقاً، وفيه يقولون: « من قرأ (بداية الهداية) رزق الهداية، وكتابه (منهاج العابدين) و (ميزان العمل) و(الأربعين) وغيرها من الكتب والرسائل الشافية الوافية يجعلها السلف الصالح لهم ولمريديهم سلم الترقي في تربية النفس وإقامة العدل والعلم النافع.

وأعظم ما يرغب فيه سلفنا ويوصون به وبقراءته تحقيقاً وتطبيقاً (إحياء علوم الدين)، ولهم فيه مقولات تحق على قراءته ومطالعته والعمل بما فيه، فمما قاله سلفنا عن (الإحياء): من طالع (الإحياء) رزق الخوف من الله تعالى، ومن رزق الخوف لم يعرض له ما يعرض للسالكين في سلوكهم، ومن اشتغل بـ(الإحياء) قراءة ومطالعة فقد تحقق بالعلم، ومن أراد

---

[٨٢] ( ) عقود الألماس: ٢/١٠٢، قلت: وقد ظهر في عصرنا الحديث من مفكري وكتاب العالم الإسلامي الذين تخرجوا من المدارس العصري الاستشراقية من يقولون في الإماما لغزالي وأشباهه قولاً منكراً يبلغ إلى حد التكفير، وهذا يهظر ملحظ التدرج لدى أعداء الإسلام في إبراز شقة الخلاف لدى المسلمين في كل عصر بما يناسب ولهم في هذا المأخذ تأويلات واستدلالات وتهويشات غرضية تبني صحة المقولة العربية القديمة « كل إناء بما فيه ينضح ».

أن يصحح قلبه فليداوم على قراءتها، ولا يحب كتب الغزالي إلا نير القلب منصف من نفسه، ولا يتم سلوكه حتى يقرأ كتب الغزالي فإنها تعينه على السلوك وتخرجه من شر نفسه وغلبه هواه، ويعرف بها كيد الشيطان لعنه الله[٨٣]، حتى أن بعض السلف حفظ (الإحياء) كله، ومنهم من قرئ عليه المرات العديدة، وفيه يقول الحبيب عبد الله بن علوي الحداد[٨٤]:

بإحياء علوم الدين تحيا قلوبنا

ويكشف عنا غمنا وكروبنا

كتاب حوى العلم الذي هو نافع

مؤلفه أستاذنا وطبيبنا

كتاب حوى علم الكتاب وسنة

وما قاله أواهنا ومنيبنا

ومن الكتب المنهجية التي اعتنى بها أسلافنا كتب الغزالي الفقهية كـ(الوجيز)، و(الوسيط)، و(البسيط) وكان مقصدهم الأعلى ومرماهم الأقصى أن يقوموا بأمر الشرع على الوجه الأتم فيأخذون منه بعد معرفة العلم النافع والعلم الضار ثمرة العلم وهو العمل به، ويعرفن آداب العلم والمعلم والمتعلم وتصحيح العقيدة وخفايا آداب العبادة وأسرارها ودقائق سننها ومعانيها وأسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وتزكية النفس من الأخلاق المذمومة ومعرفة حقائقها وأسبابها وآفاتها وعلاماتها وطريق معالجتها وتحلية النفس بالأخلاق المحمودة ومعرفة حقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاماتها وفضائلها وطرق الحصول عليها » اهـ[٨٥].

---

٨٣ ( ) عقود الألماس: ١/٧٣.

٨٤ ( ) إلى آخر القصيدة، راجع الديوان: ١٨٥، ط٢.

٨٥ ( ) عقود الألماس: ١/٧٥.

وكل ما ذكرناه يعد في منهاج سادتنا العلويين لأهل الطريق الخاصة وهم من يسمون في الدراسات العصرية بأصحاب المؤهلات والدرجات العالية، أما المنهاج العام الذي يدعون به الناس عموماً وخصوصاً أهل الزمان الأخير فهو الاقتصار على المأمورات من إقامة الصلوات وقراءة القرآن وترتيب الأذكار وطلب العلوم[86] الخ...، وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد: « ولا يليق بأهل هذا الزمان إلا هذه الطريق السهلة دون الأخرى فهذه طريقة أصحاب اليمين وهي اللائقة، وقد عقد لها الحبيب عبد الله بن علوي العطاس مؤلفاً أسماه (العلم النبراس في التنبيه على منهج الأكياس) كما ورد التفصيل والبيان عنها في كتب السلف القديمة[87] والحديثة مثل كتاب (تعريف الخلف بسيرة السلف) للإمام الحبيب محسن بن علوي بن سقاف السقاف، وكتاب (عقد اليواقيت) للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وخلاصتها: امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وبذل الجهد في تطهير القلب من الرياء والكبر والحسد وغيرها من الأخلاق السيئة، وملازمة الصلوات في الجماعة، وترتيب الأوراد، وحفظ الأوقات، وحضور مجالس العلم والذكر، وتلاوة القرآن مع التدبر والإكثار من الذكر معا لحضور الخ...، وعلى الجملة فالمدرسة العلوية الصوفية بمنهاجيها العام والخاص قد أثمرت يف عصور تأسيسها وما لحق بها إلى يومنا هذا ثماراً عظيمة حفظت للمنهاج لاتربوي الإسلامي الصرف خصائصه المتوارثة بأسانيدها المتواترة إلى صاحب المنهاج الأعظم رسولنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي ولله الحمد المدرسة

---

[86] ( ) راجع: عقود الألماس: ١/٨٣.

[87] ( ) مثل (السرقة المشيقة) للشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف، و(الكبريت الأحمر) للعيدروس الأكبر، و(فيض الأسرار) لباسودان، و(المشرع) و(الغرر) وغيرها من الكتب الحدادية كرسالة (المعاونة) و(رسالة المريد) و(النصائح) وكتاب(أسرار علوم المقربين) للسيد محمد بن عبد الله العيدروس. اهـ

النقية التي لا شائبة بها ولا ريب ولا غلو ولا زيف ولا بهتان[88] وموقفنا من بقية المناهج والمدارس والمذاهب والفرق هو موقف أهل السنة والجماعة كما بينا يف صدر الحديث عن منهاج السلف الصالح رضي الله عنهم بحيث أن الطريقة ذاتها لم تتخذ لها أرض حضرموت بيئة ومكاناً ومنطلقاً إلا بعد أ، خبرت كافة المذاهب والنحل ورأت إقرار الفتن التي تشب في بلاد الإسلام تحرق الأخضر واليابس وتصيب القائم والجالس فكان من أمر المهاجر ما كان وأخرج الله منه ومن ذراريه الكثير الطيب الذين تعطرت بهم الأكوان ودعوا إلى الله بأقوالهم وأفعالهم.

الإنكار على الصالحين من سمات هذا العصر:

قال تعالى: {**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* الذين آمنوا وكانوا يتقون* لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**}[89] صدق الله العظيم.

الأولياء قوم سموا برعاية الله وعنايته لما أخذوا بأسباب الورع والتقوى وجاهدوا النفس الأمارة بالسوء، وعرفوا حكمة التشريع فكانت لهم نبراساً يستضيئون به في حنادس الظلمات، قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في وصفهم:

---

[88] ( ) لم تتلطخ أيدي رجالها بدماء أحد من المسلمين ولا بإمارة أو ظلم أو رئاسة دنيوية واكتفوا بالدعوة إلى الله وخدمة الإسلام والمسلمين تاركين المانصب والحكم لما يطلبونها ويضحون في سبيلها بإنكار الحق وسلبه من أهله ووضع نفسهم على كرسي الإنصاف كذباً وزوراً وبهتاناً على الله وعلى العالمين، وسلفنا قد علموا علم اليقين منذ أن تنازع المسلمون هذا الأمر على عهد الخليفة عثمان وعلى وما تلاهما أن السلامة في درء الفتنة بالعود إلى المنهاج التربوي وإقامة الدين لله فلا سلامة من الفتنة لهم إلا البعد عن مواطنها ولا بناء الدين في أنفسهم وأولادهم إلا بالهجرة من مواطن النزاع والخلاف إلى ارض الله الواسعة الفسيحة والصبر على الغربة والكربة اقتداءً بسيد المرسلين وبأهل البيت

[89] ( ) سورة يونس: ٦٢-٦٤.

قوم إذا أرخى الظلام ستوره

لم تلفهم رهن الوطا والمضجع

بل تلفهم عمد المحارب قوماً

لله أكرم بالسجود الركع

يتلون آيات القرآن تدبراً

فيه ولا كالغافل المتوزع

ثبتوا على قدم الرسول وصحبه

والتابعين لهم فسل وتتبع

قال سيدي الحبيب علوي بن طاهر الحداد في كتابه (عقود الألماس) بعد ذكر الأحاديث الشريفة في الأولياء وفضلهم ومالهم عند الله تعالى من المراتب العلية والمقامات البهية: « وإنما أطلنا بذكر الروايات وتصحيح الأسانيد لظهور أناس في هذا الزمان يطعنون في الأحاديث الصحيحة جرأة منهم وقحة مع جهل ظاهر ودعوى عريضة لمرض في قلوبهم وبدع اعتقادية طرأت عليهم والعياذ بالله »[٩٠].

والولي: مأخوذ من الدنو والقرب في المكانة أو النسبة فيسمى القريب بأحدهما ولياً ويطلق على المحب والصديق والنصير والمتويل تدبر الشخص أو الأمر والحمك ويوصف به العبد والرب تعالى ويوافقه في أكثر معانيه المولى، ويقال الله ولي المؤمنين ومولاهم، قال تعالى: {**الله ولي الذين آمنوا**}[٩١]، وقال تعالى {**وهو يتولى الصالحين**}[٩٢].

وما جاء في القرآن والسنة هو الثابت في التعريف بمعنى الولي وقوامه (الإيمان الصحيح الثابت) وعندما تنهض همة العبد وإرادته الصادقة وعزمه الجازم لاستكمال التقوى والقيام

---

٩٠ ( ) عقود الألماس: ١/٣٠، وفيه إطالة تركناها.

٩١ ( ) سورة البقرة: ٢٥٧.

٩٢ ( ) سورة الأعراف: ١٩٦.

بحق العبودية والجد والتقرب إلى الله بما أمر به والسعي في مراضيه بأداء ما افترضه الله عليه من الأوامر فيؤديها كاملة مع الحضور وصدق الخضوع والتذلل والتعبد لله ناظراً إلى أمر ربه غير مشتغل بحظ نفسه ملاحظاً منَّة الله عليه فتنقطع عنه الغفلة والعجب والرياء والاستشراف للأجر لاعتقاده أنه إنما يحصل من فضل الله كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

أما أصل التقوى بامتثال الأوامر والانتهاء عن المناهي فيحصل من أول الأمر لأنه لازم من لوازم الإيمان الصحيح وثمرة من ثمراته.

إن للإعمال الصالحة أجوراً وأنواراً في الدنيا قبل الآخرة بزيادة الإيمان والرغبة فيزداد العبد تعبداً وتذللاً لله بنوافل العبادات من صلاة وصوم وذكر وفكر، ويوفق الله العبد فيقيم على نفسه حارساً أن تلم به مفسدات القلب الخمسة وهي: التمني، والخلطة، والتعلق بغير الله، والشبع، والإكثار منا لنوم، فيزداد إيمانه قوة » انتهى ما ذكره صاحب (عقود الألماس)[٩٣].

والأولياء جنود الله في أرضه يحربون النفس والهوى والشيطان والدنيا وهم في ذلك مراتب ودرجات، ولا يبلغ العبد مرتبة الولاية إلا بإقامة أمر البداية على مقتضى الشرع الحنيف، بل هو أشد الخلف إلزاماً بذلك حيث يتعين عليه الأمر للاقتداء به.

وثمرة الولاية في كل حال معرفة الله تعالى، وصدق الافتقار، وشهود المنة، والزيادة في الطاعات والقربات، وكما يذكر المثل القائل: « الاستقامة أعظم كرامة ».

فإذا وفق الله العبد في أي درجة كان من درجات الترقي الإسلام والإيمان والإحسان أن يثبت على الحال مع الزيادة في العمل الصالح والمراقبة لله تعالى صار لله ولياً، وظهرت له من الأنوار والأسرار مالا يعد ولا يحصى، شاهده الحديث القدسي المشهور: « **مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب من أداء ما افترضته عليه، وما يزال**

---

٩٣ ( ) تم النقل باختصار وتصرف.

عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » [أخرجه البخاري].

وأخرج الحاكم في مستدركه بسنده إلى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صليا لله عليه وآله وسلم يبكي، فقال: « ما يبكيك يا معاذ؟ » قال: « يبكيني حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **اليسير من الرياء شِرْك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الأتقياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة** » اهـ[٩٤].

هكذا وصف أولياء الله، أهم حيثما كانوا من الوجود على هذه الصفة قديماً وحديثاً ولن يزال الناس بخير ما بقت منهم على الأرض بقية، وليت الناس بقدرهم يعلمون ولكنها الحكمة الإلهية وحقائق المقامات لاعلوية وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، قال فيهم الحبيب عبد الله بن علوي الحداد:

رجال كرام عظموا حق ربهم
وقاموا به في حالة العسر واليسر
أقاموا كتاب الله واستمسكوا به
وبالسنة الغراء والأنجم الزهر
دهاة الورى طوبى لعبد رآهم
وجالسهم لو مرة منه في العمر

---

٩٤ ( ) حديث صحيح وافقه الحافظ الذهبي (اهـ من (عقود الألماس: ١/٣١)).

وعلى هذا المنوال الشريف والمقام المنيف كان الصالحون الأولون في الوادي المبارك من سلالات سادتنا العلوية ومحبيهم وقد ضاقت التراجم بأخبارهم وآثارهم وأنوارهم وفي مطالعتها غنية لمبتغي المعرفة والوقوف على الأحوال في الأقوال والأفعال، والذي نحن بصدده في هذه العجالة هو وضع اليد على جرح طال أمد إخراجه، فكاد أن يمتد إلى كل شيء ويعصف بكل شيء، وهو ما يتعلق بالحديث عن الكرامات والخوارق، حيث إن الأغلاط الواقعة في فهم هذا الأمر وفي تصويره وتقريره تكاد تطغى علىإيجابيات الأحوال وأثر التقوى وصالح الأعمال.

وقد عقد المحقق الباحث السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه (عقود الألماس) فصلاً تحت عنوان: « التنبيه على شبهات وأغلاط في شأنهم وقع فيها بعض الناس » فقال رحمه الله ونفع بعلومه: « اعلم أن الأغلاط الواقعة من عامة الخاصة أو عامة العامة في شأن الأولياء كثيرة يطول الكلام في استقصائها وبيان بطلانها مما لا يتسع له هذا المختصر فنقتصر على ما تحصل به الفائدة إن شاء الله تعالى وأكثرها يعود إلى الجهل بحقيقة حالهم مما أدى إلى إنكارهم أو الإنكار عليهم أو إلى الغلو فيهم أو الجهل بكيفية الانتفاع بهم.

والجهل بحقيقة حالهم قد يجيء بسبب عدم الاطلاع على النصوص القرآنية والحديثية أو بسبب عدم إدراك معانيها كما ينبغي، ودواء ذلك العلم والاطلاع على سيرهم وما وقع لخواص الأمة من استجابة الدعوات وانكشاف بعض الأمور لهم، وقد جاء في سير الصالحين والتابعين من ذلك ما فيه الكفاية. اهـ

وقد يكون سبب إنكارهم جفاء الطبع وكثافة النفس وظلام القلب أو استيلاء خلق الجبرية أو الكبر أوا لرياسة الدنيوية أو الدعوى بالعلم الظاهر أو استيلاء الحسد أو كون الغالب على الطبع خلق الشر فيعادي أهل الخير عداوتا لجنس المضاد أو استعضام ذلك واستبعاده بسبب الجهل بما هيأ الله له عبده المؤمن من تحمل أسرار الإيمان وما يكون لروحه من النور والأثر وما ضمنه الله له من استجابة دعائه أو إبرار قسمه.

وقد يكون بسبب غلبة ملاحظة الإنسان للبشرية ومقتضياتها والغفلة عن الخصوصية أو تنكر الحال لأمور اقتضت ذلك. اهـ[95].

قال نجم العرفات الشيخ أحمد بن المبارك الفاني[96] : « إن الذين بالغوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء فقد أضروا بهم كثيراً من حيث أنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ولم يذكروا شيئاً من كلامهم، إذا رأى كرامة على كرامة وتصرفاً على تصرف وكشفاً على كشف توهم أن الولي لا يعجز في أمر يطلب منه ولا يصدر منه شيء منا لمخالفات ولو ظاهراً فيقع في جهل عظيم لأنه يظن أ، الولي موصوفو بوصف من أًصاف الربوبية وهو أن يفعل ما يشاء ويختار »[97].

وقال: لو أن الناس الذين ألفوا الكرامات قصدوا إلى شرح حال الولي الذي وقع فيه التأليف فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الثانية ليعلم الناس الأولياء على محض الحقيقة فيعلمون أن الولي يدعو تارة فيستجاب له وتارة لا يستجاب له، وتظهر المخالفة عليه كسائر الناس، وإنما امتازا لولي عنهم بأمر واحد وهو ما خصه الله تعالى به منا لمعارف ومنحه من الفتوحات، ومع ذلك فالمخالفة إذا ظهرت عليه فإنما هي بحسب ما يظهر لنا لا في الحقيقة لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة وتمنع المعصية منعاً لا ينتهي إلى حد العصمة حتى لا تزاحم الولاية النبوة فإن المنع من المعصية ذاتي عند الأنبياء عرضي في الأولياء »[98]اهـ.

ومن المنكرين قوم لم يفهموا من معنى الولي إلا الكرامة وحدها ويجعلون من خاصية الولي الكرامات التي يفسرونها بالكهانة والحيل والشعوذة وغيرها من آثار الطبائع الشاذة

---

[95] ( ) عقود الألماس: ١/٤٢.

[96] ( ) في مناقب شيخه عبد العزيز الدباغ.

[97] ( ) عقود الألماس: ١/٤٤.

[98] ( ) عقود الألماس: ٦/٤٤.

التي تظهر على أيدي الحواة والسحرة والمنجمين ومحضري الأرواح وغيرهم ولا يفهمون حقيقة الولي وما عنده من الأسرار العلمية والأنوار الربانية، وليس عندهم من الإيمان ما يعرفون به الفرق بين الولي والساحر والعارف بالله والمنجم فهم في حياتهم لا يعبئون بالصالح ذي الكرامات كما لا يعبئون بالصالح الذي لا كرامة له فهم يف ميزان عقولهم القاصرة سواء، وهؤلاء المنكرون حجابهم كثيق فمن شك في كرامة الله تعالى لصالحي عبادة أو قرنها بالشبهات والخرافات والخزعبلات فحقيق به أن يشك في معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم[99].

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم لا يلتفتون إلى الكرامات ولا يتشوفون إليها، بل ويخشون أن تكون استدراجاً من الله تعالى، وهم بذلك يدلون أبناءهم وتلامذتهم على طريق الاستقامة التي هي أعظم كرامة، وقد ذكر الإمام الحداد في كلامه عن هذا الشأن قوله: « اعلم أن الكرامة الجامعة لجميع أنواع الكرامات الحقيقيات والصوريات هي الاستقامة المعبر عنها بامتثال الأوامر واجتناب المناهي ظاهراً وباطناً فعليك بتصحيحها وإحكامها تخدمك الأكوان العلوية والسفلية خدمة لا تحجبك عن ربك ولا تشغلك عن مراده منك[100].

وقال الحبيب حامد بن عمر حامد علوي: ليست الكرامة مقصودة لنفسها بل هي شاهد لجلالة من ظهرت على يده بشرط وجود الاستقامة وإلا فذلك نوع من الاستدراج[101] اهـ.

إن خرق المألوف بانفعال بعض الظواهر على أيدي بعض الخلق لا ينحصر كما ذكرنا في الأولياء والصالحين وإنما تظهر بعض الخوارق والانفعالات على يد بعض الرهابين ومشركي الهند والسحرة وأرباب الطلاسم وعلوم الشعوذة والمندل والتنجيم، ولكن

---

٩٩ ( ) عقود الألماس.

١٠٠ ( ) العلم النبراس: ٣٢.

١٠١ ( ) العلم النبراس: ٣٣.

الفيصل المبين لهذه الأمور هو حال الإنسان الذي تجري على يده هذه الانفعالات، قال سيدي الإمام محمد بن عبد الله العيدرسو في كتابه (أسرار علوم المقربين): « وأما هذه الخوارق التي تشبه الكرامات وتصدر من أقوام لم يؤنس منهم شيء من أخلاق الصالحين الأولين فهذه محن وفتن وليست تدل على صلاح أربابها لأن هذه الخوارق لا أصول يرجع غليها، فتارة تكون منسوبة إلى الشياطين كما هو معلوم من أحوال الكهنة وتارة تكون الخوارق مستندة إلى أصحاب السيمياء وهو علم شبيه بالسحر يتعاطاه قوم لا دين لهم يجوعون أنفسهم ويهجرون الأشياء المباحة كاللحم ونحوه فيحصل لهم نوع منا لكشف والتسليط في هذا العالم[١٠٢] اهـ.

وقال أيضاً: لا تغتر أيها الأخ الصالح بهذه الخوارق وتخلد إلى أربابها فإن هذه الخوارق قد تصدر عن قوم خبثاء يخدعون بها الناس ولقلة علم هؤلاء العوام المساكين يحسبون الضلالات كرامات فيحسنون الظن في أربابها فيضلون بمتابعتهم وهم لا يشعرون، ولكن التمييز بين كرامات الأولياء وما يصدر عن هؤلاء الخبثاء الفتانين عسير إلا أن يعتبر حال الإنسان الذي يصدر عنه هذه الأفعال الخارقة من سداد أفعاله وحسن تدينه وحميد طرائقه[١٠٣] اهـ.

والذي نحن بصدده ورغبنا الإطالة في الكلام عنه هو إظهار العوامل السليمة المرتبطة بالشرح الحنيف والتي أورثت الكثير من سادتنا العلويين مظهر خرق العادة بالكرامات الباهرة.

ولنجلي لكثير من المتأخرين الذين تنقبض نفوسهم انقباضاً شديداً لمجرد الحديث عن الكرامة والولاية، الصورة المشوهة التي ينظرون من خلالها إلى سلفهم الصالح الذي يمكن أن يطلق عليه اسم المثال في أزهى صوره الروحية.

---

١٠٢ ( ) نقلاً عن: العلم النبراس: ٣٤، والسيميا مصطلح قديم لعلم الكيمياء المعروف اليوم.

١٠٣ ( ) العلم النبراس: ٣٥.

ولقد رغبت في هذا الجمع الذي أتقرب به إلى الله في إيضاح الالتباس الجاثم على صدور أقراني وأمثالي عن سيرة أهلهم وسلفهم أن لا أذكر شيئاً من الكرامات والخوارق لأنها ثمرة تحصيل، ونحن اليوم في حاجة إلى إيضاح العوامل الأولية التي سار وسلك عليها أولئك الرجال وفي حاجة ماسة إلى الاقتداء والاهتداء بجلائل أعمالهم وشريف أخلاقهم وصدق علاقتهم بربهم ونستشهد في هذا المنحى بكلام الحبيب القدوة وارث سر الأسلاف لاحبيب أحمد بن حسن العطاس من قوله: « الشأن كل الشأن في تقييد أعمال السلف وحفظ مالهم من الأعمال والأخلاق المحمودة الصالحة ليقتدي بهم من بعدهم لا جمع الكرامات ونحوها، فإذا بلغك مثلاً أن بعضهم قطع الدنيا بخطوة واحدة أكنت تقدر على أن تقطعها بخطوة مثله؟ لا تقدر على ذلك لا بفعلك ولا بنيتك، وأما إذا بلغك أنه صلى ركعتين مثلاً وقرأ شيئاً من الأوراد أو فعل فعلاً حسناً قدرت على اتباعه والاقتداء به في ذلك وإن لم يتيسر لك الفعل نيتك الاقتداء به خير كبير[١٠٤]. اهـ

وأما من ينكر الولاية والأولياء بطبعه وجبلته فذاك لا يعنينا أمره في شيء، إذ أن مثله وأمثاله ينكرون حقائق الدين الحنيف وثمرة الشرع الحنيف سواء كانت على صورة كرامات أو على صورة أعمال صالحات، ومن جعل الهوى قائهده والنفس شاهده لابد أن يتردى في جهالات الشك والجدلية ويفوته من الخير كل شيء لأنه لم يحصل شيئاً، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

الدعوة إلى الله تعالى لسان حال السلف الصالح:

قال سبحانه وتعالى: {**ومَنْ أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**}[١٠٥]، وقال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب**

---

١٠٤ ( ) تنوير الأغلاس: ١/١٥١.

١٠٥ ( ) سورة فصلت: ٣٣.

لأخيه ما يحب لنفسه »[١٠٦]، وقال أيضاً: « **الدين النصيحة** » قلنا: « لِمَنْ؟ » قال: « **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم** »[١٠٧].

وعلى هذا المنهاج المحمدي الذي سبق إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام كان سلفنا منا لسادةا لعلويين بحضرموت ونواحيها يبذلون الوقت والجهد في سبيل الدعوة المباركة، ويدربون أبناءهم وتلاميذهم على نشرها بين الخاص والعامة ويعتبرونها المسئولية الأولى في أعناق أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت الدعوة المباركة هي القاعدة الإعلامية الأولى التي أسسها المهاجر إلى الله في أطراف الأرض بصور متنوعة ومختلفة فذو العلم يتصدر لحلقات العلم والتعليم وذو الحفظ للقرآن يتصدر حلقات التحفيظ للكتاب المبين وذو المال ينفق في سبيل الدعوة وترسيخها ومساعدة المحتاجين من البدو والحاضرة في حفر الآباء وبناء المساجد وتشييد المدارس والمنازل العامة التي يقصدها الفقراء والمساكين الخ...

قال الحبيب عبد الله بن علوي بن حسن العطاس في كتابه (العلم النبراس): « وأكثر من حظي منهم بالعلوم اعتنى بدعوة العباد إلى سبيل الرشاد في كل الأوقات بعد إحكام العمل بها وبعضهم عقد لتلك الدعوة مجالس وأنشأ من أجلها السفر وعمر بها كافة البدو والحضر مع الخلاق الحسنة والأفعال المستحسنة والصبر التام على مقابلة الخاص والعام[١٠٨] اهـ.

---

١٠٦ ( ) متفق عليه.

١٠٧ ( ) رواه مسلم.

١٠٨ ( ) كان من نتيجة هذا النشاط الروحي والمادي العملي الموثق بالسيرة ظهور المساجد العديدة في أنحاء حضرموت والعناية بأوقافها وما فيها من ترتيب أوقات وقراءات ومدارس وحزوب قرآنية حتى ليكاد أن يكون مثيل ذلك منعدماً في غيرها من البلاد، وقد كان من الناس يقولون أن بتريم وحدها ثلاثمائة وستين مسجداً، وعلى العموم فإن الاعتناء بالمساجد وملحقاتها تكاد تكون ظاهرة هامة وأساسية في كل حضرموت مع غاية الترتيب والاهتمام والعناية.

ويحب أهل الثروة منهم بناء وعمارة المساجد حرصاً على ما في ذلك من الفضل الوارد في الحديث، حتى أن بعضهم أنشأ وعمر مساجد كثيرة ووقف عليها ما يفي بعمارتها وصيرها منيرة، وكثير منهم من يقضي وقته وهو في المسجد معتكف، وتعلم رجال لا يتكلمون ولا يدعون أحداً بأقوالهم ولكنهم إذا رؤوا ذكر الله، ولسلوكهم أعظم التأثير في الجذب إلى التوبة والصلاح والاستقامة[١٠٩].

وعلى الجملة فالذي يتتبع حركة الدعوة إلى الله في وادي حضرموت وخارجها منذ أن وضع الإمام المهاجر أقدامه يفها وقام أبناؤه وأحفاده على ذات القدم يرى مراً عجيباً وانتشاراً علمياً وأدبياً ودعوة بالتي هي أحسن تثلج فؤاد المؤمن وتزيده على إيمانه إيماناً.

ومن هذا المبدأ الروحي القويم بدأت الهجرات المتدفقة من عواصم العلم والثقافة الدينية إلى ما جاورها من البلاد مدائن وقرى، بدءاً بالمواطن القريبة التي شهدت نشاطاً علمياً وقرآناً وتصوفاً ملحوظاً كعينات وقسم وسيئون وحريضة وثبي والمسيلة والغرفة وما حولها وانتهاء بالرحلات الواسعة إلى ما تسمى بأرض القبل والسواحل الحضرمية واليمنة ومنها إلى السواحل الإفريقية والهند وسيلان وجزر الشرق الأقصى وحصل لكثير منهم التوفيق فأسلما لعدد الكثير من عبدة الأوثان على يديهم، ودخلت القرى والمدن في إفريقيا وآسيا وفي الجزر الهندي إلى الإسلام بواسطتهم وصار منهم ومن أحفادهم المهاجرين السلاطين والوزراء ورجال الإصلاح وأرباب الوجاهة في العالم الخارجي ببركة الدعوة إلى الله.

---

١٠٩ ( ) ومن ذلك أيضاً العناية بحلقات العلم من فقه وتفسير وعلوم إلهية وحساب وغيرها وقيام أهل المال بتغطية بعض تلك النفقات التي تؤسس بها هذه الحلقات العلمية ثم ما بلغ في آخر الأمر من العناية بالأربط كرباط سيئون ورباط تريم ورباط الشحر وما كان لهذه الأربطة العظيمة من عظيم الأثر في تخريج المئات من طلبة العلم الذين حملوا مشعل الطريقة العلوية في الأصقاع. اهـ

والباحث المتتبع للرسم الواسع والأثبات المتعددة في شأن ذرية المهاجر إلى الله وما ألف في هذا المضمار كـ(شمس الظهيرة)، و(خدمة العشيرة)، و(شجرة الأنساب العلوية)، و(قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر)، و(النور السافر في أخبار القرن العاشر)، يرى الانتشار الواسع في الداخل والخارج وما تبعه من ذريات وسلالات بذلت الجهد من أجل العلم والتعليم والنصح والإرشاد.

والجدير بالذكر في هذا الشأن أن الفضل العظيم يعود بالخصوصية إلى المنهاج التربوي العلوي الذي أقيمت قواعده وأسسه على تقوى الله تعالى ةوالذي كان يفوح ما بين الحين والحين أفاضل الرجال قولاً وعملاً وأدباً وتأدباً {**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**}[110]، {**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**}[111] قال فيهم الحبيب عبد الله بن علوي الحداد:

فقيرهم حر وذو المال منفق

رجاء ثواب الله في صالح السبل

لباسهم التقوى وسيماهم الحيا

وقصدهم الرحمن في القول والفعل

مقالهم صدق وأفعالهم هدى

وأسرارهم منزوعة الغش والغل

خضوع لمولاهم مثول لوجهه

قنوت له سبحانه جل عن مثل

كتب السيد المحقق العلامة علوي بن طاهر الحداد كتابه المعروف باسم (المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى) أفاض القول فيه عن الهجرات الإسلامية في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وركز البحث حول هجرة السادة العلويين من حضرموت وأثرهم في نشر

---

[110] ( ) سورة النور: ٣٧.

[111] ( ) سورة الأحزاب: ٣٢.

الإسلام هناك، ومما ذكره في هذا الجابن تحت عنوان (ناشروا الإسلام بالشرق الأقصى) ما صورته: « وأما المؤلف: ل.و.س. فإن دن بيرخ فقد قال في كتابه أن التأثير في الإسلام إنما كان لأناس منا لسادة الأشراف وبهم انتشر الإسلام بين سلاطين الهنود في جاوا وغيرها، وإن كان يوجد غيرهم من عرب حضرموت ولكن لم يكن لهم ذلك التأثير » [١١٢].وجاء في تاريخ سراواق في المكتبة العامة بسنغفورة أن السلطان بركات كان من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب[١١٣] اهـ.

وعلق السيد علوي على القول الآنف بقوله: « وإذن فهو على ما يظهر (بركات ابن طاهر بن إسماعيل) المعروف بلقبه (بصري بن عبد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى النقيب) الخ...

وفي تاريخ المسلمين بفلبين وتاريخ سولونص على أن نسبهم يرجع إلى عبد الله بن علوي بن محمد صاحب (مرباط)[١١٤] بن علي خالع قسم إلى آخر النسب، وقد تعرض تاريخ الرحلات العلوية للسادة الأشراف من حضرموت إلى سائر البلاد الخارجية للتحريف والمسخ والإهمال، وقد أشار إلى هذا التحريف كتاب (المدخل) المذكور آنفاً فقال: على أن بعض المستشرقين المتكلمين على تاريخ دخول الإسلام في الشرق الأقصى يؤرخون تاريخ

---

١١٢ ( ) الديوان: ٢٦٨، طبعة فرد.

١١٣ ( ) ؟؟؟

١١٤ ( ) هو الإمام محمد بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر ولد بتريم وتلقى بها العلم عن الأكابر وباليمن والحرمين وتوفي عام ٥٥٠هـ وقيل عام ٥٥١هـ أو ٥٥٦ بمرباط، نشر المذهب الشافعي في ظفار ونواحيها وكان فريد عصره في العلم والعبادة والعمل وتخرج على يده عدد من العلماء وكان بادئ أمره في تريم ثم تردد على الجهات داعياً إلى الله وألقى عصا التسيار في (مرباط) وصار بها منهلاً للواردين أحبه الناس وألتقوا حوله وكان كريماً سخياً شجاعاً وكانت القوافل تقطع المسافات منب يت جبير إلى ظفار بأمانته وخفارته لما كان له من جاه، ويقال أن سبب هجرته إلى (ظفار) ما صار من حوادث الخوارج والزنجيلي التكريتي الذي قتل العلماء والفقهاء اهـ بتصرف عن (شمس الظهيرة).

دخوله ما استطاعو وهذا صادر عن عاطفة تتعلق بفخر اكتشاف الشرف الذي أدركوه أو راجع إلى عدم الاطلاع على الحقيقة لأن كتب الإسلام النفسية والتواريخ الثمينة كلها وقعت بأيديهم وهم يجعلون أّل دخول الإسلام كان إلى سومطره سنة ٦٩٤هـ-١٢٩٢م وهي السنة التي جاء فيها ماركوبول ويلغون ما سوى ذلك من الدلائل على دخول الإسلام إليها من قبل ويهملونها إهمالاً كلياً، ومع اكتساحهم تواريخ الشرق الأقصى واجتهادهم في محو هذا التاريخ الإسلامي وتحريفه بقيت بأيدي المسلمين بقية من التواريخ الوطنية والكتب العربية فيها أخبار صريحة بدخول الإسلام قبل الزمن الذي عينوه اهـ.

وجاء في كتاب (نهاية في فنون الأدب) تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري صفحة ٢٢٠: « ويقال أن في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ست جزائر أخرى تسمر جزائر السيلي يقال إن ساكنيها قوم من العلويين وقعوا إليها لما هربوا من بني أمية » اهـ[١١٥]

وقد توسع السيد البحاثة علوي بن طاهر في هذا الباب وأورد من النقولات والمنقولات الشيء لكثير.

وقد وجدت أيضاً في مقال كتبه بعض الكتاب[١١٦] لمجلة (العربي) الكويتية تحت اسم (الهجرة العربية إلى الشرق الأقصى) إشارة إلى كتاب سماه (دراسات عن المسلمين المورو وتاريخهم)، ذكر فيه أن مجيء الإسلام إلى الفلبين كان بواسطة شريف علوي اسمه الحسن بن علي من ذرية الإمام أحمد بن عيسى المهاجر وقد عمل هذا العلوي على نشر الإسلام في ميذانا ومافينيدنا وغيرهم، وتناولت المقالة بحثاً مستفيضاً عن بيوت السادة العلويين في سنغافورة وجاوة ونشاطهم العلمي والأدبي والصحفي والديني وما أنجزوه في تلك البلاد من إقامة الجمعيات والمدارس والأربطة وقدم النماذج الحية من شخصيات السادة العلويين

---

[١١٥] ( ) المدخل: ص.

[١١٦] ( ) اسمه حسن الأمين أمد بيروت.

في السنين القريبة الماضية الذين كانوا مصابيح علم ودعوة وهداية في بلادهم وفي مهاجرهم.

تحيا بهم كل أرض ينزلون بها

كأنهم لبقاع الأرض أمطار

جوهر الدعوة الإسلامية ودوافعها:

ليس من السهولة بمكان أن يقف الإنسان على ملأ من الناس يدعوهم إلى الدين ومكارم الأخلاق والآداب دون قاعدة من العلم والعمل.

ولما كان العلم والعمل رهينتين متلازمين في كل حال للداعية المسلم فقد أدى دور الدعوة المحمدية رجال صامتون لم تنطق ألسنتهم بالعلم ولا بالدعوة حيث أنهم إذا رؤوا ذكر الله، وكانت أفعالهم مقيدة بالشرح الحنيف والأدب الإسلامي المنيف من التواضع والحياء والزهادة وكراهيةا لدنيا وحب العمل للآخرة والإخلاص والإخبات والإنابة.

وكان أحدهم يدخل المدينة أو القرية التي ينشأ با الوثنيون والكفار فيدعوهم إلى الله إما بقول أو بفعل أو سلوك كالأمانة والعفة والصدق والوفاء فينثالون على دين الإسلام راغبين في تلك الأخلاق الحميدة ومجتهدين كل الاجتهاد في التحلي بتلك الآداب المجيدة.

والأمر الذي لابد من تقريره هنا بعد أن استوفينا شيئاً من الحديث عن ذلك المجد الباذخ للصدور الأئم من سادتنا آل أبي علوي هو الالتفات إلى حال الأبناء والأحفاد وموقفهم من تلك الأمجاد التي لا تقف عند الفخر ولا عند الشهادات التاريخية ولكنها تتعدى الأمر إلى التغيير النفسي والعلمي في أوباش الصين والفلبين والأمم الأجنبية الكثيرة التي دخلت في دين الله أفواجاً، أين موقعنا المشرف نحو أولئك الأجداد المجاهدين؟ وأين حالنا من تركة المهاجر وأبنائه وأحفاده الذين ما غربت عليهم شمس يوم ولا أشرقت إلا وهم بين الدعوة إلى الله والأوراد ونفع العباد والإرشاد وهداية الأمم خاصة وعامة، اختصروا المسافات الروحية ففتحوا العالم بلا سيوف ولا رماح ولا جيوش جرارة ولا بيض صفاح، حقنوا

الدماء لتكون خادمة لرب الأرض والسماء مقامهم في أوطانهم عز ومجد وإباء وهجرتهم إلى بقاع العالم دعوة وعلم ونقاء.

اين تلك الراية المرفرفة على رؤوس الأماجد؟ أسقطت على الأرض فداسها الأحفاد بنعالهم ظناً منهم نهم قد وجدوا البديل الأنفع.

اي بديل يف الوجود بأكمله أنفع من الدعوة الإسلامية الخالصة؟

وأي بديل في الوجود أنفع من أوقات تصرف في الخيرات والمبرات والإصلاح بين الناس وإقامة الصلوات وإنفاق الزكوات وغيرها من أفعال المبرات؟

لقد أصبح العلويون الأحفاد يفكرون ويحلمون بأمور أخرى غمرتهم أمواج الحضارة الشوهاء قوابلهم وقوالبهم وذابوا في دنيا البطالات والشهوات والرغبات والطموحات الدنيا فصارت أحلامهم وأمانيهم اللذة والتجارة والوظائف والأموال والمتع والرحلات وطلب العلوم العصرية بلا حدود ولا نهايات.

ولرب علوي طموح في عصرنا يعزي نشاطه وطموحه الدنيوي بأنه استمرار لنشاط أجداده وإكمال شرعي لما سبقه به أقوامه الأكرمون، وحقيقة الحال أن الأمر عكس ذلك، والحال غير ذلك يحكيه قول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم

وأرى ظباء الحي غير ظبائها

وأي علوي معاصر يحمل في نسفه وذاته وسلوكه عناصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله فلا تأخذه في الله لومة لائم ولا تثنيه عن عزمه العزائم.

إن القول بأن لكل عصر حكماً ورسماً قولة لا تؤخذ على علاتها، فقائلوها قوم لا يريدون بها الخير، ولا أداء الأمانات، وإنما يريدون بها تبريد سيء الحال الذي هزم منهم الأقوال والأفعال وجعلها بضاعة عصرية تباع وتشترى في السوق كما تباع وتشترى الأقبية والمساحيف والطلاءات المصنعة.

هيه يا سادة: لقد صار غضب أحدنا من النصيحة ديدناً وسلوكاً، لأنه قد غرص في صدره من أجيج الثقافات المعاصرة والمناهج المريضة القاصرة كبر وصلف وغرور وزهو وكبرياء وزور، وما كان القوم الذين أولدونا عليهذه الصورة ولا في هذه الكيفيات المأسورة.

إن عودتنا ولو فرادى إلى منهاج السادة الأوائل أصبح فرض عين لازم وتلك بداية المرحلة وينبغي أن يعاصرها ويؤاصرها استعداد داخلي لنصرة المنهاج السلفي العلوي، يبدأ بتتبع ما خلفوه من آثار والعمل بها استحسنوه من شريف الأذكار وأن تغلق منافذ الاستماع لما يقوله المغرضون من السفهاء والأعداء.

فإنكم عنصر شريف شرفه الله منذ أن عهد إلى نبيه تزويج علي وفاطمة ومن عرف قدر نفسه فقد شرفها وشرف أصولها، ومن غلبت عليه شهواته ونزواته فلابد أن يستنفذ الزاد في بعض الطريق حيث لا صريخ ولا مغيث.

وإنها لرغبة ناصح مشفق وأخ سالك قضصرت منه الأعمال وكثرت منه الأقوال، ولرب قول نفذ منفذ السهم فأصاب.

فالعود العود المحمود إلى طريق السنة والكتاب وإلى هدي السادة الأنجاب وليكن لنا كما كان للقائل:

أحبتنا بنجد والصفيح

مراهم كل ذي قلب جريح

عسى عطفاً على دنف كئيب

حزين القلب منكر طريح

وهل من رحمة منكم لصب

صباً قدماً إلى الأوج الفسيح

له روح تحن لخير عهداً

بمعهدها الأنيس من السفوح

بنعمان الأراك وأي أخذ

فقل لي عنه بالنطق الفصيح

ومل بي بمنة عن طور نفس

إلى طور السرائر والمنوح

لعلي أن أنادي من قريب

فما المعطي تقدس بالشحيح

ولكنا حجبنا بالأماني

وبالكون الكثيف وبالنزوح

فهيا بالقلوب إلى حماها

ومغناها وموطن كل روح

فإن الروح من ملكون غيب

تنزلها لمتجرها الربيح

وإن الجسم من طين وماء

يميل إلى الحظوظ بكل ريح

توجه حيث شئت فأنت مما

له وجهت فاختر للمليح

وجانب كل سفساف ونكر

من الأخلاق والعمل القبيح

وسافر في السبيل إلى المعالي

بجدٍ واستمع قول النصيح

ولا تؤثر على الرحمن شيئاً

تعالى قابل التوب النصوح

إله واحد ملك عظيم

تسبحه ملائكة الصفيح[117].

إنه من الضرورة بمكان أن يعلم أحفاد الدعاة وكل من كان له بهم أدنى اتصال أنا لمناهج الخيرة النيرة التي تخدم الدعوة الإسلامية الكبرى قد أجهضت منذ زمن بعيد منذ أن امتدت أصابع الغرب والشرق إلى أطراف الدولةا لإسلامية البكر تضيف وتحذف من وفي دائرة ثقافتها ومنهاجها وعلومها حتى صارت الأمة الإسلامية تابعة بعد أن كانت متبوعة وسامعة بعد أن كانت مسموعة.

ولا زالت تعيش ثمرات الابتزاز العقلي والفكري والمادي والتفويج الثقافي من قاعدته إلى قمته في الأوطان العربية والإسلامية في عصرنا الحاضر ما هو إلا الموثوق بالأفكار والسيسات الشرقية والغربية وأما حقيقة الإسلام فهي لا زالت في مراجعها المتحفية أو شذرات من الوقائع في حركة التاريخ الإسلامي تمثلها عصور معينة لا ترتبط مع غيرها والأجيال الإسلامية مصروفة عنها بحكم الواقع ومظاهر الحياة القائمة وبسياسة المخططين لهذه الثمرة الآنية من يهود ونصارى وأمم حاقدة على الدين الإسلامي الخالص.

إن الدعوة الإسلامية الحقيقة كانت تنبض بالحيوية على رغم الأعداء الألداء عندما كان المنهاج الإسلامي نصاً وروحاً يكتنف مدارس السادة العلويين بحضرموت ويخرج مئات العلماء وفي الحرمين والأزهر الشريف وجامع تونس وسوريا وفلسطين والمغرب وعندما كان المسلم لا تؤازره ولا تنفق عليه إدارة ولا تخطط لمنهاجه سفارة.

كان المسلم منهجاً بذاته، حديثه وصمته وحركته وسكونه، كان غولاً يعصف بالكافر والمنافق، دخوله وخروجه هماً وغماً على المسيحية واليهودية والإلحادية والوثنية.

عندما كان المسلم يطبق الآية الكريمة في مدرسته كل يوم {**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**}[118]، وليس الإسلام مخصص للصلاة والصوم

---

[117] ( ) الديوان: ٥٧٦/٧٧ن ط٣، ملائكة الصفيح: هم أهل الصفيح الأعلى ملائكة فوق البيت المعمور من السماء. اهـ ديوان.

والحج والزكا والعبادات وحدها، وإنما العبادات جوهر السلوك وقائد العقلية الاختيارية الإسلامية.

فصناعته وزراعته ونشاطه الاجتماعي والسياسي والحضاري وأدبه وثقافته كلها عاكسة لحقيقة العبادة الخالصة ومن أجل إعادة الإنسان إلى مولاه في كل مناحي الحياة.

إن الذين يظنون أغلب الظن بأن الحضارة الغربية والشرقية هي قبلة الصناعات والاختراعات والاكتشافات ويقفون عند هذا الحد من الهوس الحضاري فيصلون ويتجهون إليها فهم عبيد أسرتهم الأخبرة السامة التي فطموا عليها ونشأوا يستنشقونها في المدارس العصرية ومن ألسنة شيوخ المختبرات الجاهزة الكيميائية والفيزيائية يحللون الأوضاع ويخلخلون العقول ويهمون الشباب بأن الغرب والشرق سيد الحضارة الحديثة والقديمة.

وما حقيقة الأمر إلا عكس ما يقولون ويتحدثون ويعلمون وهم بحقائق زيفها يعلمون، أن الحضارة بكل مظاهرها الإيجابية كانت ثمرة العلوم الإسلامية والباحثين المسلمين في معاهد ومدارس وأربطة الخلافة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

ولا زالت شروط العودة إلى الامتلاك بالزمام قائمة وممكنة، ولكن أين يضع يده على الشروط؟ وأين الذين يغتسلون من الجنابة الغربية والشرقية ويدخلون إلى محاريب الإسلام فيصلون صلاة التوبة إلى الله ويسألونه أن يمنحهم تحت ظله الأعلى شروط النصر والهداية، فيخرجون وقد حملوا الراية.

وإنها راية لو حملت لكان صوت نذيرها وحده عاملاً مزلزلاً لأقدام الرموز الحضارية ودعاتها، لأن صوت الحق يعلو ولا يعلى عليه، {**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز**}[119] إن الذين يصفون العود إلى طريق الإسلام بالجمود والجهل والخروج عن بوتقة الواقع والإمكان هم أولئك الذين يؤمنون _بنظرية العجلة) القائلون بعدم عودتها إلى

---

[118] ( ) سورة آل عمران: ٨٥.

[119] ( ) سورة المجادلة: ٢١.

الوراء لأنهم لا يلتفتون إلى إلا حركة العجلة وحدها فيجعلون دورانها قبلة وحركتها حياة، ولو كانوا يخرجون عن المفهوم المادي لحركتها لعرفوا أن الحركة هي الحركة منذ خلق العجلة لم تتغير ولم تتغير سواء كان ذلك بالأسباب أو بإرادة الخالق جل وعلا، وغن من البداهة بمكان أن عود العجلة في شكل دورانها إلى الخلق غير ممكن لأن خالقها قد قضى بذلك ولكن الكيفيات المعنوية الدائرة مع هذه العجلة هي التي يقف البحث والتفكير والتنظير في شأنها موقف الأخذ والعطاء.

فنحن وعجلة الزمان وهمية خلق من خلق الله وكل في فلك يسبحون، فلا مسئولية علينا في قانون الحركة الأزلي، وإنما المسئولية فيما ألزمنا به الخالق لنا وللكون، والنقض والثبات في العقليات والمفاهيم والتجارب والأفكار الوضعية المشغولة بحركة الزمان الدائر والغافلة عن المحرك وأسباب الحركة ومسئولياتها تجاه ذلك.

إن مفاتيح الوعي المتجرد عن الوباء العصري الذي جثم على العقليات المسلمة مربوط بالانطلاق في مفهوما لدعوة الإسلامية الخالصة لا غير.

والذين يحلمون بالجنة التي أعدت للمتقين لمجرد أنهم قد سجلوا أسماءهم ضمن قائمة المسلمين هم مثل أولئك الحالمين بالجنة الموعود في أفكار الملحدين الذين يحلمون بتحقيق أحلام المساواة والعدل وتطبيق العدالة الإنسانية في عالم الوجود البشري.

لأن كلا النظريتين لا تتعمق في حقيقة الوجود ولا حكمته، ولم تنطلق من جذور القضايا الأزلية والأبدية، ولم تتفهم معنى التكليف والجزاء وحكمة الابتداء والانتهاء، ولا ماذا تعني الشريعة والقرآن ورسالة الإيمان وملائكته وكتبه ورسوله وباليوم الآخر وبالقدر والقضاء.

إن الدعوة الإسلامية التي أداها آباؤنا الأشراف الأوفياء جعلته قدوة للأمة ونبراساً في أقوالهم وأفعالهم وحركتهم وسكونهم، ولم يكونوا دعاة للدعة أو الكسل أو الترهب السلبي الذي يوصمهم به بعض أحفادهم ومن كان من أعدائهم، وإنما كانوا يفضلون عمل الآخرة على الحياة الدنيا فكان جهدهم الدنيوي ذيلاً لا رأساً ، وتابعاً لا متبوعاً، وكم قد أثبتت

سجلات التاريخ والأدب والعلوم الجغرافية والفلكية عن نشاط أولئك السادة مع كونهم لا يملكون زمام القيادتين، ولو ملكوها لأقامو فيها شرعة الله تعالى، ولأصابت الخلق بركات من السماء والأرض.

إن المنهاج السلفي العلوي قد أصبح اليوم مخزون المجلدات والكتب وسلوك العدد القليل من المؤمنين، ويخشى على أمره من الاندثار تحت ضربات الأعداء من كل حدب وصوب.

ولا يمكن لهذا العملاق المهيب أن يعود إلى هيمنته العلمية والروحية المشروعة إلا بتيقظ الأحفاد وطرد سبات الغفلات من الأبناء والأحفاد المعنيين بهذا الأمر في عصرنا لا يقفون عند مجرد الرغبة عن تطبيق هذا المنهاج في أنفسهم وإنما يستبشعون خبراً يحمل أخبار السلف الصالح ويذكر محاسنهم وآثارهم ويعتبون الرواية في هذا المجال ضرب من الخيال المريض والأحلام البشرية الزائفة.

وهم قوم لا نعنيهم بشيء من خبرنا اليوم وإنما نحن نشير إليهم ليعلموا أن لهم طريقاً قيماً فيما نحن إليه ونرغبه علاقة واتصالاً، وإننا وهم على مسلك واحد إن أعادوا الحق إلى نصابه وأنقذوا عقولهم وأفئدتهم من ران الذنوب وتهريج المبطلين وفركوا أعينهم بعد السبات ليتجهوا إلى الميضاةا لمحمدية يطهرون بها الجوارح ويعمرون بها خراب القلوب.

إن كثيراً من أهل الجدل والمحاججة يرون أن الدعوة الإسلامية ليست حكراً عل طريقة صوفية ولا جماعة علوية ولا سنية ولا معتزلة أو رافضة ونحن نقول بهذا أيضاً ونجسده بالبرهان.

والبرهان هوا لعمل في سبيل الدعوة إلى الله في كل الأجناس والألوا والأمم دون إشارة إليطريقة علوية ولا صوفية ولا غيرها.

والبرهان هو العمل في سبيل الدعوة إلى الله في كل الأجناس والألوان والأمم دون إشارة إلى طريقة علوية ولا صوفية ولا غيرها.

ولكن الأسس والقواعد عند بنائها تجعل المدارس ذات مغزى ومتجه محدود واضح، فكم من الطرق والدعوات الصادقة والكاذبة والدخيلة والمتلبسة بلباس الدين تدعو بأسلوب وطرقها إلى عبادة الله، وحقائقها عن الأمة مجهولة، حتى إذا فات الأوان وامتلك رؤوس الدعاة البغاة المنتحلين الإسلام ديناً والشريعة منهاجاً والجهاد شعاراً أمر الأمة وزمام الفعل والتأُير ظهر الأمر على الحقيقة الواضحة[120].

ومن هذا البابينسل إلى الإسلام وفكره من ليسو من أهله فتراهم من خلاله يؤيدون الفصائل المعادية للإسلام باسم الإسلام ويتآمرون على شريعة القرآن باسم القرآن ويفسدون الأجيال بأباطيل الادعاء والبهتان وبأساليب وآلات ومظاهر حضايرة راقية تموه على العامة حقائق المخططات الكبرى التي ترسمها دوائر الأثر والتأثير.

ولذلك فإذا كان الداعية إلى الله ينهج الإسلام ديناً والقرآن إماماً والنبي رسولاً ويعتصم بسنة الله وكتابه، ننظر في مدرسته التي تخرج منها وشيوخه الذين تربى على أيديهم وتفقه تحت أسماعهم وأبصارهم إن لكل مذهب على أهله أثراً ومظهراً ولكل نحلة شكلاً وجوهراً.

فما كان من المدارس متفقاً على طريق الحق والإيمان فالقول والفعل والأثر والتأثير يجتمعان في مصب واحد مهما اختلفت الروافد والمصادر الفرعية وإن كانت المدارس كما ذكرنا آنفاً فالحق يقال: إن الإسلام الحقيق في غنى عنهم وعن دعوتهم المسمومة، فما هم إلا رسل الحضارة في لباس المتقين ودعاة الأفكار الاستشراقية بألسنة المسلمين، إن ثابوا وتابوا وعرفوا الحق وأهله فقد اهتدوا وهدوا، وإن لم فلا نقول إلا ما قاله القرآن: {**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**}[121].

---

[120] ( ) بل إن الدجال ذاته عند بدء ظهوره يكون داعية إلى الله ورسوله أول أمره حتى يتمكن من الشروط فيعلن دجله ومسحه الأرض بفتنته اهـ راجع كتاب (شرح السنة) للبغوي.

[121] ( ) سورة يوسف: ١٠٨.

الطريقة العلوية مدرسة تربوية لا دعوة سياسية:

لقد كانت من أهم وظائف الطريقة العلوية المباركة الدعوة إلى الله تعالى بالتي هي أحسن والتربية الدينية العملية وقد أفضنا القول سابقاً عن منهاجها ومراجعها.

ولربما جهل جاهل ممن لم يتح لهم أن ينظروا في آثار الطريق العلوي فيظن- وبعض الظن إثم- أن الطريقة العلوية مذهب أو حزب سياسي و تجمع ديني يخفي تح ركامه حب الجاه والسلطة والدنيا، أو قد يكون لبعض الأحفاد رأي مريض من الآراء التي تفرزها النفسيات القاصرة أو تلوكها الألسنة الحضارية المتهورة غيربو في نفسه شك أو ريب يضع بنيان ثقته في منهاج سلفه فيقطع خيط العنكبوت المتبقي من العلاقة الشكلية بذلك الجيل الصالح ولذا رأيت أن أضع القواعد الأخلاقية التي بنى الأسلاف عليها أصول الطريق ونهجوا بها ف حياتهم وتركوها لمن خلفهم من الراغبين الذين يملكون الإرادة ضد النفس والهوى والشيطان والدنيا ولو على طريق السلوك المتنامي.

قال الإمام العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في كتابه (الفتوحات العرشية): « إن سادتنا العلويين في الغالب والأكثر لا يعتنون ويشمرون ويجتهدون إلا بتحقيق علوم المعاملة علماً وعملاً وذوقاً» . اهـ

وقال صاحب (العلم النبراس): « ومن أخلاقهم الاشتغال بالعلوم وطلبها والانكباب على مطالعة كتبها والاجتهاد في تحصيلها وحفظ فروعها وأصولها فربما استوعب بعضهم المجلد الضخم في اليوم والليلة، وبعضهم يقرأ كل يوم جزءاً من الإحياء، وبعضهم التزم قراءة شيء منه بطريق النذر، وكان لبعضهم الرحلة إلى الأماكن البعيدة في طلب العلوم وأكثر اعتنائهم بعلوم الكتاب والسنة والتصوف » اهـ.

وقال أيضاً: « ومن أخلاقهم في الغالب حب الاعتزال ويكرهون الظهور والاشتهار وإلى ذلك أشار من له في الظهور أعظم اشتهار وانتشار الشيخ أبو بكر العيدروس نفع الله به بقوله: ليتنا ما عرفنا أحداً ولا أحد عرفنا، ليتنا لم نكن أو ليتنا ما ولدنا ».

ومنهم من آثر مزيد التواضع والتقشف فهو ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف قانعاً من الدنيا باليسير ومن المؤنة بالحقير مستتراً في غاية الخمول يخفي حاله حتى لا يكاد يبين.

ومن أخلاقهم أنهم كانوا يخفون العبادة خوفاً منا لرياء، وإذا تكلم أحدهم في الوعظ أو غيرها وخاف الرياء عدل إلى غيره مما لا يدخله ذلك، وإذا طرقه البكاء في تلاوة أو قراءة حديث أووعظ صرفه إلى التبسم ولا يذم نفسه في الملأ ويكره أن يسأل عن عمل أو أن يسأله غيره عن ذلك، وإذا بلغه أن أحداً من الأعيان عزم على زيارته في يوم درسه تركه وإذا دخل على غفلة كره ذلك وأوجز.

وكانوا رضي الله عنهم زاهدين في الدنيا والرياسة فيها قانعين بالكفاف منها ملبساً ومطعماً ومسكناً فلا يبني أحدهم إلا ما يضطر إليه، ولا يقبل أحدهم من مال السلطان وأعوانه شيئاً ولو كان محتاجاً بل يكتفي بكسرة من الحلال أو بقليل من التمر فإن لم يجدها طوى إلا أن يجد حلالاً ولا يفرح إذا أقبل عليه شيء من الدنيا ولا يحزن على شيء أدبر منها وربما انشرح صدره إذا صرفت عنه، وكان بعضهم يأتي عليه الشهر والشهران ما يأكل إلا التمر وعيش عمراً طويلاً ما يطوي له ثوب ولا يأمر أهله بصنعة طعام ولا عانى أحدهم من ركوب الخيل ولا الملابس الفاخرة ولا الأطعمةا لنفيسة ولا الجلوس على الكراسي ولا السكنى في القاعات المزخرفة، اللهم إن وجد حلالاً فربما استعمله بعضهم في نادر الأوقات أويكون ممن لا تدبير له مع الله تعالى بل ربما كانت هذها كان لباسه أغلى من لباس الملوك [١٢٢].

وكانوا يكرهون ادخار القوت لفراغ اليد من الدنيا على إمساكها وقد يدخر بعضهم على اسم عائلته تاسياً بفعله صلى الله عليه وآله وسلم أو تسكيناً للاضطراب الذي ربما يقع أو اتهاماً للنفس، ويقدم كل منهم كسب الحلال على سائر مهماته، وينفق المال في إطعام الجائع

---

١٢٢ ( ) لا يدخل في اللباس شيئاً مما حرمه الله تعالى على المسلمين، وإنما القصد اللباس الفاخر الحلال.

وكسوةا لعاري ووفاء الدين وكان أحدهم ينفق المال ولا يمسكه في بدايته ولا يجمعه في نهايته للإنفاق وكان كل واحد مهم يخدم الضيف بنفسه ويأكل مع خادمه ويحمل حاجته من السوق ويصافح الغني والفقير والوضيع ويسلم على كل من لقيه ولا يرى أن له عند الله حالاً ولو بلغ منا لأعمال ما بلغ بل ربما يحسب أنه استحق العقوبة لما يشهد من سوء الأدب بالنسبة لجناب الله تعالى كما كانوا على مكان من محاسن الأخلاق الطاهرةوالتضلع في العلوم الظاهرة فإذا رؤي أحدهم ذكر الله تعالى.

كل هذاوغيره من الأخلاق النبوية التي تأسوا بها وساروا على إحياءها تبين أنهم وهم الأصول الذين وضعوا قواعد المنهاج لا يبغون الجاه ولا الشرف الدنيوي ولا المال ولا الأعراض الزائلة، ولذلك فالمدرسة التي وضعوا لنا أسسها هي مدرسة تربوية خالصة تسير على هدي الكتاب والسنة النبوية.

أما موقفهم من السياسة وحمل السلاح فذاك أمر كان من نتائج استشرائه في صدر عصور هجرتهم إلى حضرموت حيث كانت السياسة تحوم حول معاني الخداع والبطش والنفاق والوصولية والزور والبهتان والتنافس على الحطام، وهم لا يصح لهم تدنيس الطهارة الموروثة بهذه الأجناس البشرية المهدمة لمكارم الأخلاق فتركوها لهلها وحقروا من شأنها وشأن الرافبين فيها لما امتزج في أمرها من الشوائب والبهتان حتى صار للأوباش والأحداث وحولت من خدمة للأمة على منهاج القرآن والسنة والإصلاح والصلاح إلى سوط يلهب الأكف والظهور لقصم الظهور وعامل من عوامل الأذى في سبيل إرضاء الولاة وخدمتهم وخدمة من في ركابهم من المقربين والوسطاء وأصحاب النهي والأمر والتصوف على غير ما شرع الله وما أمر به.

وظل حملهم للسلاح خصوصاً دفاعاً عن أنفسهم وحرماتهم وأموالهم ولما هدأ الحال بحضرموت وسكنت الفتنة واستقرت السلالة المباركة في الموطن المبارك قام الإمام القدوة

الحجة الشيخ والأستاذ الأعظم الفقيه المقدم بمسر السيف إشارة إلى السلام والأمان وصار حمله بالنسبة للعلويين خاصة مخالفة لما انتهجه الأستاذ الفقه المقدم[123].

قال صاحب (تاج الأعراس) الجزء الأول، صفحة ١٩٩ حول هذا الموضوع: « (فائدة): اعلم أن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي إنما تزيا بزي الفقراء، وترك حمل السلاح الظاهر لأمور: منها أنه دعا لأولاده بأن يكونوا من أهل المقامات والأحوال والحماية بالسلاح الباطن الذي هو البرهان المبين الحاضر المعبر عنه بسيف القدرة[124] فأصبحوا هم الملوك وهم أهل الشوكة والحماية لا يقصدهم مؤذٍ بشر إلا قصمه الله، وقد أشار إلى وصفهم الشاعر بقوله:

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم

من الملك إلا اسمه وعقابه

---

[123] ( ) ولهم في وضع السيف أكبر عوامل الحفظ والقدوة الحسنة شاهد ذلك حديث أهبان بن صيفي الذي أورده الإمام الزخشري في كشافه: دفع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيفاً إلى أهبان بن صيفي وقال: **قاتل به المشركين فإذا رأيت المسلمين قد اقتتلوا فاكسره** » والعجيب في كثير من الأحفاد الذين بهرتهم الشعارات الزائفة في عصورنا المتأخرة يعبرون بكسر السيف أن كان مؤامرة على الدين من قبل العلويين وقادتهم في حضرموت ويودون لو حمل الأسلاف السيف لتحقيق الجهاد الإسلامي، ولعمري أن السيف لو حمل كما يود هؤلاء لما كان على أرض حضرموت ديناً ولا علوماً، وليتم يجربون ولا يقفون عند حد اللوم والطعن والهذيان المريض والسيف لا يعني كسره إلى الأبد، ولكن لابد له من عودة، وإنما على الشروط التي لا تبنى على الحدس والحماس الوقتي الهش.

[124] ( ) لربما أثارت هذه العبارة الكثير من الأحفاد وغيره من القراء حول الحماية بالسلاح الباطن، والأمر الحقيقي الذ هو واضح وجلي أن السلاح الباطن لدى المؤمن المدرك معاني الأسلح الروحية أمر لا يسخر منه ولا يستنكر خصوصاً أن هؤلاء السادة قد عرفوا أثر السلاح ف حياتهم وفي حياة أندادهم وأضدادهم وكان الحكم في ذلك الوقت علاجاً سلبياً لبتر الفتنة وإبعاد السلالة الصالحة عن الصراعات الدموية التي لا تخدم الدين ولا الإسلام.

الأمر الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أطلعهم على أنهم سوف يكثرون بالجهة الحضرمية ودولتها وقبائلها وأهل الشوكة فيها على غير قانون الشريعة، فإنهم يقتلون البريء بالمجرم، ويأخذون مال البريء بذنب غيره فلو حمل السلاح أولاد سيدنا الفقيه المقدم في حضرموت لكان منهم لأنفسهم الهلاك، ولصاروا أعظم ذنباً من غيرهم كما وقع فيه من خالف الفقيه من أولاده وذويه.

الأمر الثالث: أن هذا آخر الزمان المشار إليه بتراكم الفتن والمأمور فيه بكسر السيف نصاً من جد الحسن كما صح في مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **ستكون فتنٌ؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساري، ومن تشرف له تستشرفه، ومن وجد منها ملجأ فليعذبه** »[١٢٥].

وفي رواية: « **ستكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم** » إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم: « **يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر** » قال الإمام محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم: « أما من وجد ملجأ- أي عاصماً- أو موضعاً يلتجئ إليه ويعتزل فيه فليعد به- أي فليعتزل فيه- وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **القاعد فيها خير من القائم** الخ... فمعناه بيان عظيم خطرها، والحث على تجنبها والهرب منها ومن التسبب في شيء منها وإن شرها وفتنها تكون على حسب التعلق بها، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر** الخ... فقيل: المراد كسر السيف حقيقة على ظاهر الحديث ليسد على نفسه باب هذا القتال، وقيل هو مجاز، والمراد ترك القتال، والأول أصح ».

قلت: وهذا الذي اعتمده سيدنا الفقيه حين كسر السيف، والله أعلم. اهـ

قال الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي): « مما أجمعت عليه المصادر أن الفقيه المقدم نزع السلاح بل وكسر سيفه، ودعا قولاً وفعلاً إلى نزعه ليقضي

---

[١٢٥] ( ) رواه مسلم.

على العقيدة القبلية، وبرهن فعلاً على وجوب التعايش السلمي والأخوة الإسلامية والمذهبية والوطنية بين قبائل الشعب وقطاعاته وعلى أن سلاح العلم والإيمان والأخلاق هو أقوى الأسلحة في المجتمع وأمضاها في قيادة الأمة وتوجيهها إلى حياة السعادة والخير والتقدم »[126] اهـ.

وذكر الأستاذ ضياء شهاب الدين في تعليقه على شخصية الفقيه المقدم في (شمس الظهيرة)[127]: « كان الفقيه المقدم متقلداً سيفه بين يدي شيخه كغيره من العلويين ثم ترك حمل السيف بعد أن درس التصوف فكسر سيفه أو حناه وسلمه للعلامة الصالح الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، فاقتدى به الاخرون » اهـ. مع أن دعوتهم المباركة المبنية على الدعوة والإرشاد والعلم والتعليم والعمل لا تمنع راغباً طموحاً في ولاية عادلة يتزعم أمرها ولا تمنع صانعاً من صنعة يقيم حق الله فيها ولا يمنع بيعاً لا شراءً ولا حركة تجارية ولا زراعية بل كان لكثير منهم فيها عمل وجهد ملحوظ، ولكن الغالب في هذا الشأن هو التغافل والإعراض عما يطمح فيه الطامحون ويهلك من أجله المتنافسون، خصوصاً إذا كانا لحال كما كان من الفتن والاضطرابات والفوضى فهم يحفظون بموقفهم المعتدل حق العلم والدين من التلطخ بالدماء البريئة والوقوع في الشبهات المريعة، ولهم عند جلاء الحق آراء قيمة وشهادات حكيمة ومواقف إيجابية عظيمة، وأحكام عادلة شرعية سليمة.

وعلى الجملة فالمنهاج العلوي السلفي منهاج تربوي يجمع في صفوفه العلمية كل الأجناس والألوان والشخصيات على طريق تحقيق العلم النافع والعمل به، العامل في عمله والقاضي في محكمته والسلطان في مملكته والوزير في وزارته والخطيب في مسجده، والكل

---

[126] ( ) أدور التاريخ الحضرمي: ٣٠٤، الطبعة الأولى منقحة.

[127] ( ) شمس الظهيرة: ١/٧٧، ط١.

من المنهاج يسقون ويرتوون، ولكل وجهة هو موليها، والمنهاج يقول: {**فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير**}[١٢٨].

إن الوازع الديني الذي تغرسه في المريد الصادق هذه الطريقة المثلى تملؤه بالنزاهة الأدبية والأخلاق الدينية المثالية، فتكون أفعاله وأقواله في مجال حياته التي يشق طريقها برغبته وطموحه واختياره أفعالاً وأقوالاً موافقة للشرع الحنيف واستمرارية للأدب النبوي الشريف.

إن المنهاج العلوي طريق على الكتاب والسنة يمثل في غمرة الفوضى المذهبية والمدارس الشرقية والغربية والتوليفية مدرسة مستقلة الوسائل والغايات والثمرات والنتائج، أول شروطها الاستعداد للمنهاج وإفراغ القلب عن المفاضلة بين مدرستين أو منهجين أو مذهبين إذ أنا لمفاضلة لا تملأ قلب المنحرف إلا مرضاً عل مرضه، وقد قال المولى جل وعلا في شأن المنافقين والكفار الذين يقرؤون القرآن ويحاولون التأمل فيه وفي منهاجه وأثره وتأثيره {**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً**}[١٢٩].

وعلى هذا الطريق يعرف المعنيون بالأمر الإشارة الواضحة المبينة في القرآن أن المنهاج وحده قد لا يكون هادياً وجاذباً لمن يقرؤه أو ينظر فيه بعين ملؤها الاستكبار والاستهزاء أو الغفلة عن حقيقة فحواه، ولكنهم في غيرهم يكون كالماء البارد للظمآن شفاء ورحمة للمؤمنين هدى وتبصرة وعظة وتذكرة، وما يذكر إلا أولو الألباب والآخذ بهذه الطريق المباركة على هدي السلوك المستقيم لا تمنعه هذه الطريق من الاطلاع أو التعلم أو الاستزادة من المعارف وإنما تمنعه من مغبة الاستحسانات الزائفة لشيء من المناهج المعارضة الأخرى وعلى هذا يؤدب المشايخ الزائفة لشيء من المناهج المعارضة الأخرى وعلى هذا يؤدب

---

١٢٨ ( ) سورة البقرة: ١٤٨.

١٢٩ ( ) سورة الإسراء: ٨٢.

المشايخ كثيراً من المريدين الذين ما زالوا في طور البداءة بعدم الالتفات إلى السبل حتى لا يتشتت الهم ويتفرق الجهد.

وتلك طريقة تربوية صحيحة أثبتت نجاحها منذ القديم إلى اليوم، وقد أخذت بها كثير منا لدول والمنظمات والمدارس العصرية حيث سخرتها ضد الأديان والآداب القرآنية السماوية فعزلت طلبتها وشبابها عن كل ما يمت إلى حقائق الدين الإسلامي خاصة والأديان الأخرى عامة، أو جعلتهم يدورون في فلك مبرمج محدود.

المنهاج السلفي في التربية والتعليم والثقافة:

لقد كان لأسلافنا الصالحين في حضرموت ونواحيها منهاج تربوي تعليمي ثقافي متكامل يكاد يفي بحاجة الزمان والمكان، ويضمن النهاية السليمة للمريد المتخرج من هذه المدرسة العلمية العملية، وكانوا يفاضلون بين المواد والمصنفات والمراجع كل ذلك تتبعاً للنهج المستقيم الذي اختاروه لأنفسهم ولأولادهم ومريديهم خصوصاً وأن أصولهم الأولى التي انتقلت من أرض العراق قد عانت من الإطلاق الثقافي والانفتاح التربوي والتعليمي هموماً وغموماً شتى جعلتهم يؤثرون الصمت والخمول في تلك الطلول، حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى الوادي المبارك فجد العزم على غرس تربية دينية خاصة {**يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية**}[130]، ولذلك فمنهاج السلف العلويين هو المنهاج الوسط القائم على العدل والإحسان دون التحيز لفئة أًجماعة ودون طعن في فئة أو جماعة إلا من خالف الشرع وأخذ بالكفر، وشأنهم التوسط حتى فيما جرى لأهل البيت النبوي في سالف الزمان من الأذي والتشريد والتنكيل والتقتيل لا يوقفون تلاميذهم عليه ولا يرغبون في الحديث عنه سلباً ولا إيجاباً ولا يخوضون فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويقولون: « إن الخوض فيه مهلكة » ولا يفيد الإسلام

---

١٣٠ ( ) سورة النور: ٣٥.

بشء، وأمرهم إلى الله وتحت مشيئته، وقد شذ عن هذه القاعدة بعض المتأخرين من أنجالهم وخاضوا في هذا الأمر المهلك وأمرهم إلى الله.

وأما منهاجهم التعليمي فيرتكز على علم الفقه الشافعي خاصة وعلم الحديث وعلم التفسير وعلم التصوف وشيء من اللغة والبلاغة وعلوم الآلة والحساب والفلك، وقد برع في هذه العلوم عدد جم من رجال حضرموت وصنفوا في اختصاصات العلوم كتباً جمة لا يزال بعضها إلى اليوم من مبسوطات ومن مختصرات ورسائل، ومنها ما عفا عليها لزمن وضاع بين الإهمال والانتقال والارتحال وكثرة الاستعمال وجهل الأجيال.

وكانت مواقع التطبيق لهذه المناهج هي الزوايا والمساجد خصوصاً في بداية الأمر وقد تناول السيد محمد بن أحمد الشاطري هذه المسألة بشيء من البيان حيث أورد في صفحة ١٨٦: فصلاً عن الحالة الثقافية في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) نقتطف منه ما يلي: « وكان التدريس إذ ذاك في مدارس يسمونها (الزوايا) وهي بنايات خصصت للتعليم والتدريس ومنها زاوية الشيخ سالم بافضل المعروفة إلى اليوم بتريم هذا بالإضافة إلى دروس المساجد والديار، وكثيراً ما يلحقون زوايا من هذا النوع ولهم مكاتب فردية ».

وتبرز لنا ناحية هامة من نواحي الحياة الثقافية في ذلك العهد فقد كان مخصباً برجال العلوم الشرعية والعقلية والصوفي والعربية إلى جانب تقي ورع واستقامة، وارتقى المستوى العلمي إلى درجة أنه اجتمع ثلثمائة مفتي في تريم وفي أسر كبيرة برمتها أنجبت وأنتجت سلالات توارثت العلوم المشار إليها.

ويبرز لنا من أولئك العلويين وآل أبي ماجد، وآل أبي عيسى، وآل أبي جواس، وآل أبي بكدر، وآل أبي الحب، وآل أبي فضل، وآل الخطيب، وآل أبي حاتم، وهذه الأسرة من رجالها خمسة وأربعون مفتياً يجتمعون في محل واحد » اهـ[١٣١].

---

[١٣١] ( ) راجع أدوار التاريخ، الجزء الأول.

وقال أيضاً: « وهناك في المدن الشهيرة بحضرموت من غير تريم كالشحر وشبام والهجرين ودوعن وغيرها علماء آخرون كالشيخ سعد بن علي تاج العارفين والشيخ محمد بن سالم ابي وزير والإمام محمد بن أبي النعمان الهجراني إلا أن تريم أبرز مدينة علمية بحضرموت في ذلك العهد، فقد بلغت فيها النهضة العلمية في ذلك العهد أوج كمالها ومع ذلك فتذهب منهم بعوث إلى العراق واليمن والحجاز وغيرها للاستزادة من المعارف والبحوث العلمية » اهـ.

كما تعرض السيد العلامة محمد بن أحمد الشاطري في صفحة ٤٢١ إلى الدور الثقافي والتربوي الأخير الذي أسست فيه الأربطة والمعاهد العلمية وقد قسمه إلى دورين:

الدور الأول: من ابتداء القرن الماضي إلى نشوب الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨/١٩٣٩هـ).

والدور الثاني: من بدء الحرب العالمية الثانية إلى اليوم.

أشرق هذا القرن بفجر نهضة تعليمية أهلية اشتملت فيها بعد جميع مدن القطر الحضرمي، وامتدت إلى قراه وكثير من أوديته وبواديه، فكانت كل مدينة وكل قرية ظاهرة لا تخلو من معهد للعلم من رباط، أو مدرسة، أو كُتَّاب، وقد يوجد في بعضها كل هذه الأنواع كتريم وسيئون، وتناول الحديث عن الأربطة العلمية فقال: « فهي تصل إلى مستوى عالٍ لا يقل عن مستوى الأزهر الشريف بالقاهرة، ولا يقل خريجوها عن خريجة من العلماء الشرعيين، ولا نغالي إذا قلنا أن كثير من خريجي المعاهد الشرعية الحضرمية يفوقون علماء الأزهر في فقه الشافعي والتاريخ الإسلامي، وفي فني النحو والصرف، وهي الفنون التي كثيراً ما يتخصص فيها علماء حضرموت في العهد الأخير بينما كان الأقدمون يتوسعون في العلوم الشرعية والعقلية والعربية إلى درجة عالية جداً يتساوون فيها مع إخوانهم من نوابغ الأقطار العربية والإسلامية الأخرى » اهـ.

وأقدم رباط تأسس في ذلك العهد هو رباط العلامة الداعية علي بن محمد بن حسين الحبشي رحمه الله وبه يشيد الأستاذ البحاثة عبد الله بن حسن بلفقيه في كتابه (تذكرة الباحث المحتاط في شئون وتاريخ الرباط) ومما ورد في ذلك هامشاً: « ترجع الأسبقية في إنشاء

الأربطة الدينية بحضرموت إلى الإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي نفع الله به فقد أنشأ رباطه المعروف بسيئون قبل سائر الأربطة بحضرموت »[١٣٢].

وأما تاريخ إنشاء رباط تريم فكان عام ١٣٠٣هـ وافتتح في ١٤ محرم ١٣٠٥هـ وأقيم احتفال عظيم بالمناسبة[١٣٣] اهـ.

ويذكر العلامة السيد محمد بن أحمد الشاطري أن تأسيسه كان سنة ١٣٠٤هـ وقد ذكر أنه تخرج منه ألوف العلماء والطلبة بحضرموت واليمن وعدن والولايات الغربية، ما كان يسمى بالمحميات الغربية، وصوماليا، وزنجبار، وملايا، وإندونيسيا، وأكثرهم على يد شيخه الكبير العلامة عبد الله بن عمر الشاطري.

ثم أنشئ رباط الغيل (غيل باوزير) بفضل الشيخ العلامة الكبير محمد عمر ابن سلم حوالي سنة ١٣٢١هـ وقد تخرج منه علماء وفقهاء ووعاظ، ثم ظهور رباط قيدون فرباط عينات ثم رباط الشحر[١٣٤]. اهـ.

وأفاض القول صاحب (تذكرة الباحث المحتاط) عن التفاصيل المبينة للمراكز العلمية القائمة بتريم خاصة أبان القرن الرابع عشر الهجري وأساتذتها مما لا يستغني عنه في هذا المجال الذي نطرقه، فمما يذكره:

١- مدرسة آل عبد الله بن شيخ العيدروس، ويتولى التدريس فيها الحبيب العلامة أحمد بن محمد الكاف.

٢- زاوية سيدنا الإمام الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف، وكان المتولي للتدريس فيها الحبيب العلامة مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن

---

[١٣٢] ( ) تذكرة الباحث: ١١.

[١٣٣] ( ) تذكرة الباحث: ١١.

[١٣٤] ( ) راجع أدوار التاريخ الحضرمي: ٤٢٢-٤٢٣، منقول بتصرف، ولم يذكر في الأدوار رباط الشحر.

بن محمد المشهور وكذلك كان يدرس أيضاً آنذاك بالسحيل[135] في بيته الذي كان يعرف بدار القراءة.

٣- زاوية مسجد سرجيس: ويتولى التدريس فيها الشيخ العلامة محمد بن أحمد الخطيب بعد أن كان يدرس قبل ذلك بزاوية مسجد الأوابين.

٤- زاوية مسجد نفيع: والمتولي للتدريس فيها العلامة الشيخ أحمد بن عبد الله البكري الخطيب بعد وفاة شيخه المؤسس لها الحبيب العلامة عبد الله بن أحمد بلفقيه سنة ١٢٩٩هـ وبعد وفاة الحبيب أبي بكر الخرد اهـ.

٥- مسجد سوبة: ويتولى التدريس فيه أيضاً الشيخ أحمد المذكور آنفاً.

٦- مسجد بني حاتم: ويقوم بالتديرس فيه الحبيب العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور.

٧- زاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل: والمتولي للتدريس فيها العلامة الحبيب أبو بكر بن عبد الله الخرد المتوفي سنة ١٣١٢هـ وكانت هذه الزوايا والأربطة عموماً تمثل الصورة السلفية العلوية من حيث المادة العلمية ومن حيث المعلم والطريقة والثمرة، ثم ظهرت لدى الأحفاد من أبناء العلويين آثار الاحتكاك بالعوالم المتحضرة والميول إلى الاقتباس مما في البلدان الأخرى فظهرت الدعوات الراغبة في تحديث مناهج التربية والتعليم وإدخال المواد المتنوعة الملائمة للعصر مع شيء من الحذر والخوف من جهة وشيء من الإصرار والتحدي من جهة أخرى، فظهرت مدارس شبه عصرية ولكنها متحفظة بكثير من أصول المنهاج السلفي وظيفتها وضع التوازن بين العلوم الشرعية والآلة وبين علوم العصر الحديث، الشان الذي كان يمثل آنذاك واقع الفكر المتأثر بالعالم المحيط المحتم على كثير من العقليات المفكرة في منهاج التربية والتعليم أن

---

١٣٥ ( ) السحيل: منطقة سكنية بتريم.

تجاري التحديث وتضيق المجال على الأسلوب التربوي السلفي المتوارث، فظهرت مدرسة جمعية الحق بتريم ١٣٣٤هـ، ودرس بها عدد من المدرسين النابغين الذين درسوا بحضرموت أو خارجها ثم تلتها مدرسة آل الكاف، ومدرسة جمعية الأخوة والمعاونة والتي أسست على الأنظمة الحديثة في التوزيع التربوي والتعليمي[١٣٦] اهـ.

وأقيمت بسيئون مدرسة النهضة الشهيرة، وكذلك في كل من شبام، وقسم، والقطن، وحريضة، وجفل، والهجرين، وعينات، وحوطة أحمد بن زين، والغرفة، وهينن، والخريبة، وصبيخ أقيمت مدارس وأشباه مدارس، وفي كل من قر تاربة وبور والحزم والريضة، وثبي افتتحت ما سمي بالمدارس العيدروسية يمونها آل العيدروس من إندونيسيا ومدارس جمعية الفضائل التي قامت مقامها مدارس الكاف الصغرى بحارات تريم. اهـ.

ودار اللوم بحريضة المؤسسة في ١٣٣٥هـ (تاج الأعراس)، وفي مدن الساحل أنشئت أيضاً في هذا العهد مدارس من أبرزها مدرسة الفلاح بالمكلا، ومدرسة مديجح التي أسسها السيد علوي بن عبد الرحمن المشهور، مدرسة آل شيخان بالمكلا، وافتتح في هذا المعهد معهد صغير بالمكلا لتعليم اللغة الإنجليزية[١٣٧].

ولقد كان لظهور ذه المدارس المستحدثة في تريم خاصة وسيئون أثر سلبي نسبي بادئ الأمر على المنهاج السلفي وخصوصاً عندما كان شيوخ العلم الكبار على قيد الحياة[١٣٨] بل إن بعضهم وقفوا مؤيدين إجراء هذه التحدثيات المواكبة لطبيعة الحياة المحيطة والتزام البعض الآخر بموقف المعارضة، وترافق الطلب من كلا المنهجين القديم والجديد بعد ذلك مع

---

١٣٦ ( ) راجع: أدوار التاريخ الحضرمي: ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥.

١٣٧ ( ) راجع: أدوار التاريخ الحضرمي: ٤٢٥.

١٣٨ ( ) راجع: تاريخ الباحث المحتاط في شئون وتاريخ الرباط: ٣٥ حول رسالة (الإنصاف بين النحلة والإنحاف) وما كان من بعض السادة المهاجرين من المطالبة بإصلاح التعليم بحضرموت.

شيء من الامتعاض وعدم التوافق والتمازج كما هو طبيعة الأزمنة وفارق الفهوم والاجتهادات وكان لكل سوق أهله ولكل بضاعة طلابها، وتخرج من هذه المعاهد العدد الكثير ممن لهم باع كبير في العلم والمعرفة والصلاح والولاية وحب الخير ولا زال منهم من يعيش بحمد الله بين ظهراني الأمة إلى اليوم.

ولا ينبغي أن ينسى المتأخرون دور الكتاتيب الصغرى والمدارس المتواضعة الأولى التي كانت تفوج الشباب من حفاظ القرآن ومتعلمي أوليات الكتابة والقراءة، حيث أن تأسيسها كان على تقوى من الله ورضوان، ومنها علمة باغريب بتريم، وعلمة باحرمي[١٣٩]، وقبة الشيخ أبو مريم[١٤٠] والمتخصصة في تحفيظ القرآن.

وأما تعليم الفتاة فكان تعليماً منزلياً يقوم به الآباء والأمهات والأخوات حيث كان الرجال الصالحون على جانب عظيم من الاهتمام بتربية النساء والبنات على النهج السلفي من حفظ ومدارسة القرآن وقراءة الأوراد والمحافظة على الصلوات والاطلاع على المبادئ الفقهية والقراءة والكتابة، وحفظ الآداب والأخلاق السلفية، ولا يزيدون على ذلك إلا إذا كان هناك اجتهاد ذاتي واستعداد لدى بعض النسوة النابغات والصالحات ممن عرفهن تاريخ تريم وسيئون والمسيلة ودوعن وغيرها من البلاد الحضرمية أبان تلك المرحلة المباركة.

وقد ذكر السيد العلامة محمد بن أحمد الشاطري في تاريخه عن تعليم الفتاة الحضرمية في تريم منذ افتتاح جمعية الأخوة والمعاونة بقوله: « ولعل أرقى مدرسة حضرمية في هذا الدور هي مدرسة جمعية الأخوة والمعوانة بتريم فقد فتحتها منذ أكثر من ربع قرن وسنت لها نهجاً

---

١٣٩ ( ) مما يذكر في التاريخ أن العيدروس الأكبر فتح مدرسة خاصة بتعليم البنات بتريم في القرن التاسع اهـ أدوار التاريخ: ٢٥٩.

١٤٠ ( ) راجع أدوار التاريخ: ٤٢٦.

غايته تخريج بنات يقمن بتنظيم المنزل وإعداد ميزانية منظمة له وتطريز وخياطة الأثواب وتربية الأطفال وإسعاد الأزواج إلى جانب المعلومات الأخرى[141].

وأما الدور الثاني والمحدد في (أدوار التاريخ) الآنف الذكر فهو من الحرب العالمية الثانية إلى عصرنا هذا، وقد قال عنه: « يتجلى فيه ضعف الحركة التعليمية الأهلية وانكماشها » اهـ، وقال أيضاً: « ومرجع ضعف الحركة التعليمية الأهلية يعود إلى عدة عوامل أكثرها اقتصادية » اهـ.

ويبدو لي أن مرجع ضعف الحركة التعليمية الأهلية ليس للعوامل الاقتصادية بدرجة أساسية، وإنما لوجود البديل المنافس الذي تدعمه الحكومة والذي تستطيع المدرس الأهلية أن تحقق لطلبتها الغايات الطامحة التي يحققها التعليم الحكومي من حيث التأهيل الوظيفي والمرتب وضمانا لعمل والاعتراف بالشهادة التعليمية إلا إذا رضيت الحكومة ذاتها عن المنهاج القائم في المدارس الأهلية، وقد أوضح الكتاب ذاته ضريبة الرضاء الذي تدفعها المدرسة الأهلية للحكومة المحلية المرتبطة بسياسة التاج البريطاني.

ولو أمعنا النظر قليلاً لرأينا أن كثيراً من الأسباب التي كان يراها الراغبون في تحديث المناهج السلفية ضرورة ملحة يفرضها واقع الحياة هي ذاتها العامل البديل الذي جعل المدارس الحكومية تتبوأ دور الريادة في قيادة التعليم وإضاعة التربية لتفي أفواج المتخرجين بحاجة الأنظمة وخدماها، وهي أيضاً بصورة أخرى العامل الدافع لدمج تعليم البنين مع البنات وانتشار الثقافة الحمراء في عصرنا المشئوم.

---

[141] ( ) لم يتعرض السيد محمد بن أحمد الشاطري إلى تعليم الفتاة الحضرمية في هذه المدرسة شئون دينها كمادة أساسية تدخل ضمن قوله « نهجاً غايته تخريج بنات » حيث حصرت الغائية في التدبير المنزلي وما يشابهه، مع أن الدين في حضرموت خصوصاً يعد من أرقى ما يعلمه البنون والبنات، بل هو رسالة العلويين، لعله أراده ضمن قوله « إلى جنب المعلومات الأخرى ».

ذلك لأن المفكرين وحملة الرايات الثقافية ينطلقون من الواقع والحاجة الاجتماعية المتغيرة، ولو كانوا ينطلقون من المنهجية القرآنية والتربية الدينية الصرفة في لا ترى في الواقع إلا خبط عشواء يلزم المؤمنين أن يصنعوه صناعة ويرفعوا من مستوى أهله وأبنائه بالوسائط الثابتة الدينية التي تجعل التحديث في المناهج هامشاً لا ضرورة.

والأمر الثابت بدلائله أن التغير من السيء إلى الأسوأ لابد منه على هذه القاعدة فالحال القائم في هذه المواطن الشريفة التي ذكرناها آنفاً يعد حلقة على طريق تهييئه جيل وأمة جديدة تقبل سلوكاً وأخلاقاً جديدة يفرضها الواقع تتطلبها الظروف، والظروف والواقع حالان يتغيران بتغير البناء الثقافي والمعرفي لدى أهل الحل والعقد والسياسة، ولا ثبات إلا في منهاج القرآن والسنة وطريق الأسلاف الصالحين رحمهم الله رحمة الأبرار.

قواعد الميل القلبي إلى المؤلفات والمصنفات:

يقول الحبيب أحمد بن حسن العطاس في كلامه لتلميذه علوي بن طاهر الحداد: « أود أنك تقرأ لنا شيئاً من كتب التواريخ، ولكن لما كانت كتب التاريخ تورث من كان ذكياً الفضول لا أريد منك أن تمر على شيء منها حتى تتمكن من: علم التفسير، وعلم الحديث، وعلم التصوف، وعلم الفقه، فإذا امتلأ المرء بهذه العلوم لم يضره شيء ».

وقال أيضاً في كلامه: « السلف يوصون بهذه الكتب: بداية الهداية، والأذكار، والمنهاج، والملحة، وكتب ابن هشام، والبغوي، ورسالة الحبيب أحمد بن زين، والمختصر اللطيف، اقرئوا الطلبة فيها لأن السلف تضمنوا بالفتوح لمن قرأها » اهـ[142].

كما يصون أيضاً في فن السيرة والتاريخ بكتاب الخميس في سيرة أنفس نفيس وسيرة ابن سيد الناس وتاريخ ابن أسعد اليافعي والشفاء للقاضي عياض[143]، وفي فن الأدب: مقامات

---

[142] ( ) كلام الحبيب أحمد.

[143] ( ) وصية السلف بهذه الكتب المذكورة وغيرها من الكب التي لم تتعضر لها إنما يدلنا على خلاصة الجهد الواعي الذي استقرؤه من خلال اطلاهم على الميل القلبي لدى حملة الأقلام في

الحريري، ويسمونها (طبق الحلوى)، وفي الحديث: (الصحيحين، والجامع الصغير، وجامع الأصول).

وفي كتب القوم وأخبارهم: العقد النبوي، والجوهر الشفاف، والمشرع، وشرح العيينة.

والغرض التربوي من هذه التوجيهات السلفية إلى بعض الكتب دون بعض هو حفظ قلوب التلاميذ والمريدين والسالكين من التغير والتأثر والميل الذي قد يوافق بعض الطباع البشرية، وهذا المنع هو أسلوب تربوي مألوف وقائم إلى اليوم، بل أصبح في عصرنا منهجاً تبنى عليه بعض الأحزاب والهيئات سياستها التعليمية.

ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى موقف السلف من بعض العلوم الغريبة كالسحر والتنجيم والكف وغيره، وأنهم لا يميلون إلى هذه العلوم ولا إلى أصحابها، ويوجهون أبناءهم وتلامذتهم إلى التمسك بالقرآن والسنة النبوية وبالاستقامة، وقد جرت حكايات عديدة لبعض المريدين مع شيوخهم من المبين الكاملين عاتبوهم فيها على التطلع لمثل هذه الاستخدامات.

وعلى الجملة فإن الحال الذي خلفه لنا أسلافنا الكرام على طريق العلم والعمل في كتبهم وآثارهم وأخبارهم هو المخرج الحقيقي لكل من ألقى السمع وهو شهيد، من وعثاء التقليب للآثار والأسفار والتنقيب عن المناهج المتفاضلة في السير إلى الملك الجبار، والتطلع إلى المذاهب المحدثة والمدارس المستحدثة، وهي دعوة تبدأ بالفرد وتنتهيبه لا تنقله إلى الجماعة ولا إلى الكتلة ولا إلى الدعوة الحزبية ولا العصبية ولا القومية.

إنها دعوة إصلاح للقلب قبل القالب.

الماضي والحاضر وإلى الرغبة الواعية من سلفنا إلى منهجية العقلية العلوية ومن دار في دائرتها بعيداً عن التشويشات الأخرى ولو كانت على طريق الغاية الواحدة في خدمة الإسلام تجنباً لما يسمى بالتداخل المنهجي السلبي المؤدي إلى التشكيك والإضعاف في أغلب الأحوال، وسيأتي الكلام عن هذا الأمر فيما يلي.

إنها معاناة رحلة طويلة خاضها فحول المربين في ميدان الحياة الوبيئة فاختاروا لأنفسهم ورضوا الاختيار لأبنائهم ومحبيهم ولكل راغب صالح متأدب طريقاً سهلاً نورانياً يحقق الأمن ف يوم الخوف الأكبر والراحة القلبية في هذه الدار.

ومن هذا المبدأ أيضاً يرون أن المدارس التربوية القائمة في بعض البلاد الإسلامية على خير وهدى ما دامت لا تقر منكراً ولا تتوانى عن أمر بمعروف ولا تحرف حقاً ولا تنصر باطلاً، ولا تبنى مذهباً معيناً لمصلحة ذاتية أو دعوة سياسية أو حزبية، وإذا ما بدا من ذلك شيئاً فإنها تكتفي بتنبيه المريدين عن الاغترار بما يبثه من السموم والأقوال والادعاءات، وتشير إلى ما يكفل السلامة للجميع من الوقوع فيما لا يرضي اله ورسوله والمؤمنين.

ولا شك أحد منا أن الأسلوب التربوي السلفي ملائم لذلك العصر للواقعا لديني المحيط المنعزل عن التأثيرات المغرضة والمطامح العلمية المحيطة، ولذلك فإن دخول عنصر الطمع العالمي إلى البلاد الإسلامية عموماً وحضرموت خصوصاً كان عاملاً خطيراً من عوامل إثارة كوامن الجهلاء والطامعين في الأثر والتأثير والحكم والتسلط ولو على حساب تقليص المناهج السلفية، وخلق أجواء القلقلة في الأمة للبحث عن بدائل تلائم الأطماع المادية المتنامية.

فكان ذلك من العوامل الجديدة لتكميل حلقات ضعف التربية الدينية الصرف التي عرضها الإسلام منذ بزوغه وتعاقبت عل إضعافها موجات المؤامرات الداخلية والخارجية، ويتم للعدو بواسطتا لجهلاء والطامعين ما يريد وصار أهل الإسلام حرباً على بعضهم رغبة في المناصب والجرايات والتأمينات الاحتكارية وأطلق الاستعمار وأشباهه اليد الطولى للوسائط الجاهلة كي تؤدي دور الإجهاز بصورة مباشرة وغير مباشرة على التربية الإسلامية ومنها تربية سلفنا الصالح في الأربطة والزوايا ومجالس التصوف الإسلامي الخالص والتي كانت تتضمن فروع التربية الإسلامية وموادها من الفقه والحديث والتفسير والسيرة وعلوم الة والفلك وغيرها من علوم الإسلام المتوارثة عن فحول الرجال والمسندة إلى أصولها الإسلامية الخالصة.

وفي ذات الحال الذي انشبت فيه الدول المعادية مخالبها في العالم الإٍلامي سلبته أعز ما يملك من التراث وأصول العلوم التجريبية والطب والفلك والتاريخ، والسيرة، والتصوف، وأغنت بها مكاتب الاستشراق الغربي والشرقي لخدمة الاستراتيجيات الاستعمارية والثقافية بواسطة الرموز الجاهلة التي انتقتها الدوائر المعنية وكلفتها بحماية سلطتها ونفوذها على حساب الإسلام وثقافته.

وكم نرى اليوم من متاحف في الشرق والغرب وغيرها من الدول التي قامت بدور الكف المتحرك في الذراع الأجنبية من آثار ومخطوطات وكتب ومجلدات هامة وطنين في أصول العلم والرياضة والهندسة والدينية والتاريخية وإلخ...، خطط لها تخطيطاً رهيباً لتكون ضمن الثروات المسلوبة من الوطن الإسلامي، وإليها يعزو كثير من المفكرين نشاط الدول الأوروبية الفكري والثورة الصناعية الكبرى، ولست هنا في موقف الحسرة على سبق أوروبا بالوصول إلى الصناعة والاختراع، وإنما في تقرير الواقع المؤلم الذي هيأ الأسباب والإمكانات في داخل الجسد المسلم فضياع دينه وثقافته المتفردة والتي كان ضياعها السبب الأول في نهش بقية الأركان وتحطيمها.

ومن هذا الباب يمد اليوم حملة الأقلام أيديهم ليدافعوا عن مصالحهم وآفاقهم الفكرية فيردون الضعف والسقوط والانهيار إلى التصوف وأهله، وليسو هم أولو المسئولية الكلية ولا أهل التصوف في الوجه المقابل.

ولكن التبعة الكلية تقع على ساسة المسلمين المفرطين في العلم وأهله والمتخذين لهم من البطانات الشريرة والطامعة قواعد وأركان ورموز أصابع موضت بالبناء وأغربت بالراحلة عن جادة الطريق، وأرغمت كثيراً من عناصر الإسلام المخلصة الأولى والأخيرة أن تتجنب التمثيل المصطنع على مسرحيات الأحداث وتعزلهم في واقع خاص لا مناص لهم منه ولا إمكان لسواه إلا بذات الشروط العنجهية الخارجة عن نطاق السلوك الإسلامي الحنيف، وهذا تاريخنا فيصلاً حاكماً فيما نقوله نحن.

إن المدرسة العلوية السلفية برجالها الأفذاذ قد فرغوا من هذا التشنيج الفارغ وأوزعزوا لأبنائهم ومريديهم بما يكفل لهم السلامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وصموا آذانهم عن هذيان الإعداد المحموم بعد أن أدركوا حقائق الأمور وما خلفها من الدفع والاندفاع المخطط ليكون الإسلام في موطنه تنوراً يسجر على أهله ومعتنقيه بأيدي الأشباه والأمثال.

فاختاروا لهم ولمن أراد من أبنائهم السلامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

المرأة في المنهاج السلفي العلوي:

إن طريق أسلافنا العلويين الذين كان مستقرهم بحضرموت ينظر إلى المرأة نظرة إسلامية صرفة قوامها ما نصت عليه الآيات البينات وما جاءت به السُّنة المحمدية مع اعتبارهم مذهب الشافعية في الأحكام والفروع، ولذلك فقد كان للمرأة العلوية وغيرها في حضرموت أبان مرحلة الازدهار الصوفي العلوي دور عظيم ومظهر فخيم أظهر على سطح الواقع الاجتماعي خيراً كثيراً من حافظات كتاب الله تعالى، ومن النسوة المتضلعات بالعلم والتصوف والتأدب بالآداب النبوية بل وبلغت المرأة إلى مصاف الأولياء والأقطاب عن طريق السلوك والأخذ بمبادئ المنهاج السلفي العظيم مع قيامها بواجباتها الأساسية خير قيام.

فزوجة الفقيه المقدم أستاذ الطريق كانت على جانب كبير من العلم والعقل والتجربة والحال العظيم حتى إن بعضهم ذكر أنها قامت بالأمر الروحي بعد وفاته.

قال الأستاذ الفقيه محمد بن أحمد الشاطري في كتابه (أدور التاريخ) كانت أسرة الفقيه المعروفة مكونة من قرينته زينب بنت عمه أحمد، وتلقب بأم الفقراء اقتداءً بزوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (زينب أم الفقراء) ومن أولاده الخمسة الذكور منها إلى جانب خدمة وأتباعه وأكبر بنيه علوي الذي يكنى به، وكان المفروض أن يصبح بعده عميد الأسرة لكفاءته وسنه، وكل إخوانه أكفاء، وأن يكون بمفرده خليفة أبيه، ولكن الفقيه رشح زوجته

(زينب) لتكون خليفته من بعده لقوة شخصيتها ولاستعدادها وكفاءتها لتولي مشيخة الصوفية أو جانب كبير فيها بعده إلى جانب ابنها الأكبر، وكان قد عرفها في حياته شريكة حياته وخير أم ومربية مثالية وصالحة عابدة فكانت بعد وفاته تقوم بتوجيه المريدين وتهيب ببنيها إلى أن يرتفعوا إلى درجة أبيهم في العلوم والأعمال، ويقصدها تلاميذ زودها للاسترشاد والتبرك. اهـ.

ومنهن كذلك الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدية من قبيلة بني حارثة الكندية، وقيل من مذحج، وقيل غير ذلك، ويطلق عليها (رابعة حضرموت) في تقاها وصلاحها وتصوفها وفي وجاهتها وفي شِعْرها الصوفي.

والمعروف عنها التدرج من حيث نشأتها في الأحوال والمقامات الصوفية وكانت ذا شخصية قوية على جانب من الصبر والتحمل، وكانت تقوم بالوعظ والإرشاد لقومها من القبائل حملة السلاح إضافة إلى مهماتها المنزلية وواجباتها المألوفة، مع أنها لم تتزوج طيلة حياتها، وإنما استأنست بالعلم والتصوف والأشعار، وكانت لها مشاركة في بعض الجلسات مع كبار أهل العلم والتصوف وكان لها رباط علم[١٤٤] بنته في قرية (العر) من بلاد حضرموت كانت هي المشرفة عليها والمنفقة على صادرية وواردية، وكان لها دور كبير في الإصلاح بين القبائل وتأمين الطرق ونشر الدين والطريقة الصوفية إضافة إلى كرمها وعلمها وحلمها وحسن سياستها مع طاعة الله جل وعلا لا تحد ولا توصف ولذلك سميت رابعة حضرموت، ولدت عام ٧٨٠هـ وتوفيت يوم الاثنين ١٧ من شهر صفر ٨٤٧هـ[١٤٥] . اهـ

ورغم كثرة النساء اللواتي اشتهرن في السلوك والأخذ والولاية والعلم والعمل والورع والتقوى إلا أنَّ حظهن من الإثبات والتراجم كان قليلاً.

---

١٤٤ ( ) انظر صفحة: ١٢٧.

١٤٥ ( ) عن أدوار التاريخ، بتصرف طفيف، وقد ذكر المؤلف أن الرباط المذكور لم يعف عنه شيء، ولربما كان بيتاً يقصده الأضياف للإكرام والعطاء.

فكانت منهن السيدة التقية النقية الصالحة عائشة بنت الشيخ عمر المحضار والتي قيل فيها أنها بنت القطب وزوجة القطب وأم القطب فتزوجت بالإمام الأكبر عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وأنجبت الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس المعروف بالعدني والمدفون بمدينة عدن، وكانت السيدة المذكورة ممن اجتمعت فيها شروط التربية الكاملة والاستقامة الحقيقية والولاية.

ومنهن السيدة خديجة بنت السيد عبد الله بن عمر بن حسين فقيه زوجة الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، وكانت على مكانة كبيرة في قلبه لعلمها وورعها وفقهها ودينها، وقد توفيت في حياة الحبيب عبد الله الحداد فكتب فيها قصيدة شعرية مثبتة في ديوانه كشاهد حال على المدى الذي بلغت إليه في قلب الحبيب عبد الله الحداد إمام المتأخرين وغزالي زمانه وما حفظ لها من الود والوفاء حتى أنه على جلالة قدره وعلمه لم ينسى لها العشرة ولا المرافقة الوفية، فنراه يقول:

سقى الله بشاراً بوابل رحمة

يجود عليها بالصباح وبالأمسا

مرابع أحباب الفؤاد ومن لهم

به صدق ود في سرائره أرسا

إلى أن قال:

ولا تنس ما بين القبور بزنبل

بقبر بقلبي ذكره قط لا ينسا

تضمن إلفا صالحاً ومباركاً

فأكرم به قبراً وأكرم به رمسا

دفنت به من فيه روحي واحتي

فعاد أغض العيش من بعده يبسا

فلا تلقني إلا حزيناً لفقده

نواطق سلواني لفرقته خرسا

فيا رحمة الرحمن زوريه واحللي

على قبره حتى تطيب له نفساً

وحيه عنا بالسلام وروحي

بروح الرضا والقرب معناه والحسا

وقولي له إنا على العهد والوفا

وإن الفنا قد عمم الجن والإنسا

ومنهن السيدة التقية العالمية الورعة المربية للرجال أم كلثوم بنت الحبيب طاهر بن محمد بن هادي، صاحب (مختصر كتاب مجمع الأحباب)، وعمه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، ويذكر عنها الثقاة أنها اجتمعت فيها شروط الإمامة العظمى والقضاء إلا كونها امرأة، ولو لم تكن أنثى لكانت قاضية بمعنى الكلمة، ولم تمنعها الأنوثة أن ترد على قضاة وعلماء زمانها في كثير من المسائل حتى قيل أن معارضتها ونقدها غير مجرى بعض الأحكام النافذة من بعض القضاة. اهـ

ومنهن السيدة الصالحة نور بنت الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، وكانت على حال كبير وعلم ووفير وزهد وتقى وعفة، وكتب لها والدها وصية عظيمة قال لها فيها:

يا نور إن شئتي النور

ويمسي القلب معمور

والصدر مشرح مسرور

دومي على طاعة الله

وقد أورد الحبيب البركة بقية السلف في الخلف أبي بك بن عبد الله الحبشي الملقب (عطاس) نبذاً صالحة من أخبارها في كتابه (كنوز السعادة الأبدية) الذي جمع فيه شيئاً من كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي وذكر منها ما صورته: « وقال أحمد بن عبد الله بن حسين بن طاهر جئت مرة إلى عندها أنا وبعض أصحابي فقالت: يا عيالي: اعتنوا بعلم الفقه، لأن به

قوام الشريعة المطهرة والناس تركوه والمدار عليه الله الله في الفقه شوفوه بايضيع، وأنت با تطلع تريم تخاطب أخيها اجعل مذاكراتك كلها في الورع وفي الحلال والحرام لأن الحرام عم والورع ارتحل من الوادي وضاعت علينا الأشياء والقلوب قست من حين ارتحل الورع وصح عليهم من جهة الورع وترك الشبهات شف أكل الحرم نكس القلوب[١٤٦] اهـ.

وقال الحبيب علي بن محمد الحبشي تعليقاً على هذا الكلام الآنف: « انظر إلى الأولين حتى نساءهم كيف؟ وهذه الحبابة في العصر الأخير نحن أدركناها، ومن هنا يقولون كم من قصة خير من لحية، وأم الحبيب عبد الله بن حسين أعظم وأعظم وهي الحبابة شيخة بنت عبد الله بن يحيى جات من زوجها حسين بن طاهر وعبد الله وخديجة وهي أم الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، قالوا إن الحبيب عبد القادر بن محمد الحبشي[١٤٧] صاحب الغرفة كانت له مجاهدات وأربعينيات طويلة وأخذ عشرين سنة ما شرب فيها الماء ولما جاء عند الحبائب آل المسيلى فرحوا به وذهب الحبيب طاهر والحبيب عبد الله إلى عند والدتهما وقالا: يا أماه هذا الحبيب عبد القادر الحبشي، من شأنه كذا، ومن امره كذا، وإن له عشرين سنة ما شرب فيها الماء، فقالت لهم: نِعْمَ الرجل، ونِعم ما فعل، ونعم ما وصفتوه به، ولكن هاتوا طاسة واملأوها ماء، فأتوها بها فقالت لهم: اطلعوا بها إليه وقولوا له تسلم عليك أمنا وتقول لك أشرب الماء كما شرب جدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ما تفاوت الرجال والمفاضلة بينهم إلا عند الترك والنهي، هل مضت لك عشرون سنة ما فعلت فيها مكروهاً ولا هممت به؟ أما العبادة حتى العجائز تعرف لها. فقال لها الأولاد: كيف نتجرأ على الحبيب عبد القادر؟ فقالت: أطلعوا إليه إن بغيتو الخير والبركة وقولوا له ذلك، فطلعوا إليه وأخبروه بها

---

[١٤٦] ( ) كنوز السعادة: ١٠٢.

[١٤٧] ( ) من كبار أئمة التصوف بحضرموت، توفي سنة ١٢٥٥هـ وله ذرية طيبة. اهـ عن شمس الظهيرة، الطبعة الجديدة، ص٤٧١.

قالت أمهم، فقال الحبيب عبد القادر: صدقت صدقت نعمت المربية ونعمة المؤدبة ونعم ما قالت هاتوا الماء فأعطوه الطاسة فشرب » . اهـ

وقال أيضاً: « لما أتت الوالدة علوية إلى (المسيلة) سألت عن الحبابة عائشة بنت عمر، وهي أخت الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، وعن الحبابة نور بنت الحبيب عبد الله بن حسين فقيل لها: إن الحبابة نور في مصلاها تركع إلى العشاء، وأما الحبابة عائشة فهي في الخلوة تبقى فيها إلى العشاء، وكانت الوالدة علوية عازمة على المسير فقالت: با سير أولاً إلى عند الحبابة عائشة، فلما جلست عند أهل البيت قالت الحبابة (عائشة): عندكم علوية؟ فقالوا: نعم. ففتحت الخلوة فحلفت الوالدة إن وجهها مثل القمر حين فتحت الباب، ثم أتت الحبابة نور وقالت: إني أسرعت على الوِرْد[١٤٨] من أجل علوية »[١٤٩]. اهـ

وقال أيضاً في صفحة ١٨٩ عن الذكاء والفطنة في نساء الأولين: « قالوا إن الشيخ العالم محمد بن عمر بحرق[١٥٠] مر على ثلاث نساء قائمات، واثنتين طويلتين كل واحدة في جانب، فقال لهن الشيخ: أنتن (لنا) يعني إنكن في الصورة مثل كتبه لنا ففهمت الوسطى كلامه ومالت إلى الجانب الأيسر منهما وقالت له بل نحن لله » اهـ.

وذكر أيضاً أن السيدة عائشة بنت الشيخ عمر المحضار يقال أنها زوجة القطب وبنت القطب وأم القطب، ثم قال:

وليس يختص بذي أنساب

ولا بأهل الجد والإكساب

بل فيض فضل منعم وهاب

فيه النساء يقسمن كالرجال

---

١٤٨ ( ) ما يرتبه السلف من الأذكار في مثل هذا الوقت.

١٤٩ ( ) كنوز السعادة: ١٠٥.

١٥٠ ( ) صاحب كتاب الحديقة الأنيقة.

والدحقة خضراء، والباب مفتوح لمن دق، المقصود إنك تدق الباب وتقبل على الكريم الوهاب...

ولكن حجبنا بالأماني

وبالكون الكثيف وبالنزوح[١٥١]

وذكر أيضاً عن أحوال نساء حضرموت أخباراً عجيبة منها: « أن الحبيب علي بن محمد الحبشي، وتلميذه أحمد علي مكارم كانوا يسيرون في طريق (بور)[١٥٢] ويتذاكرون في أنفسهم، ونساء يحطبن في (المسيال)، فإذا بامرأة طرحت الكوفة[١٥٣] والشريم[١٥٤] وجاءت إليهم مسرعة وقالت: ما قطع بالناس عن ربهم إلا نفوسهم » ورجعت إلى مكانها فقالا لها: صدقت، حياك الله على حكمة »[١٥٥].اهـ.

والمتأمل في هذه العبارة يرى في مضمونها طريقاً موصلاً إلى الله لأن الحبيب علي بن محمد الحبشي يبحثان عن هذه الطريق فكأنما هي أدركت ما في القلوب فأشارت إشارة عابرة وحكمة تغني السامع الواعي عن الشيخ والسلوك والمجاهدات وتضعه على قدم المشاهد فالقرآن ذاته يؤيد هذه القولة بمعناها في قوله تعالى {**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هي المأوى**}[١٥٦]، وقوله تعالى: {**قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها**}[١٥٧] اهـ.

---

١٥١ ( ) كنوز السعادة:

١٥٢ ( ) بور: قرية بين مدينتي تريم وسيئون.

١٥٣ ( ) الكوفة: لفافة من القماش يضعنها على الرأس وقاية من ألم الخشب.

١٥٤ ( ) الشريم: آلة الحصد التي تستخدم لإخراج الشجر والقضب وغيره.

١٥٥ ( ) كنوز السعادة: ١٣٥.

١٥٦ ( ) سورة النازعات: ٤٠

١٥٧ ( ) سورة الشمس: ٩-١٠

والذي يؤكد للباحث اهتمام الطريق السلفي العلوي بالمرأة أن الدعاة إلى الله في حضرموت كانا يجمعون النساء لتعليمهن وإرشادهن ووعظهن وتذكيرهن بالله واليوم الآخر، وقد ورد أن الحبيب أحمد بن عمر بن سميط علم نساء شبام كتاب (فتح الرحمن)[١٥٨] المحتوي على أسس الدين من أركان إسلام، وإيمان، وإحسان، وفروض الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج، حتى كُنَّ يقرأنه حفظاً عند قيامهم بأعمال البيت، ولا زالت بعض النسوة إلى اليوم والليلة يحفظن منه فصولاً رغم انقطاع هذه العادة الفاضلة منذ زمن بعيد، والمتأمل إلى اليوم آثار المدرسة التربوية التعليمية لسلفنا الصالح في حضرموت يجدها لا تزال مجسدة في كثير من دور الحضارمة من كافة طبقات المجتمع وخاصة في تريم وسيئون وعينات وثبي ودمون وقسم والحوطة والغرفة وحريضة والمسيلة وكثير من القرى والمدن التي كانت قد أسست على تقوى من الله ورضوان وكان بها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، بل وانتقلت معهم إلى حيث انتقلوا فهذه الآثار السلفية للمدرسة العلوية بمنهاجها المبارك وأواردها وما يلحق بذلك من حسن السمت والتحلي بمكارم الأخلاق والأعمال الصالحة منتشرة يف جزر إندونيسيا والفلبين والهند وسيلان وإفريقيا وبعض مدن اليمن جنوبه وشماله وإلى اليوم وإن كانت ليست على ذات النمط الأول.

فالأوراد السلفية وقراءة القرآن حفظاً وتجويداً والاطلاع على المناقب الحسنة والأخلاق المستحسنة لا تزال الألسنة الصالحة تلهج بها بين العشي والإبكر رغم ما أدخلته المدنية المعاصرة من أساليب اللهو واللعب والمتع الصارفة عن الخير والهدى.

ولا تزال المرأة الحضرمية خاصة ذات عقلية مهيأة لقبول الدعوة والتوجية والإرشاد الديني واستيعاب أسس الطريق السلفي القويم إذا وجدت المعالجة الصادقة المخلصة ولو

---

١٥٨ ( ) كتاب يجمع أهم أمور الدين والعبادة والزهادة ومبادئ الفقه، أمر بجمعه الحبيب أحمد بن عمر بن سميط فجمعه أحد تلامذته ووزع على أهل شبام ليحفظوه.

بما يتلاءم مع الحياة العصرية رجاء تخفيف حدة المد السلبي للآثار الغربية والشرقية التي باتت تغزو المرأة إلى عقر دارها.

لقد أصبح الحديث لدى كثير من عموم النساء عن الطريقة العلوية في حضرموت مجموعة من الحكايات والأخبار التي تتنافى مع ذوق المرأة أي المعاصرة لأخبث وسائل الإعلام والأثر والتأثير المادي والروحي اليوم حتى إن الجيل الناشئ على وسائل المتعة العصرية والثقافة الجديدة والعلوم المدرسية المنهجية المخططة ليبتعد شيئاً فشيئاً عن السلوك الإسلامي الصحيح بما يعيشه في واقع الحياة القائمة من عكسيات الطريق السلفي وتشويه الصورة الروحية العليا.

ولم يبق لدى المرأة والفتاة المعاصرة سوى منفذ التربية المنزلية التي تضع الحمل الأكبر على الأب والأم في توضيح الحقائق الجلية لطريق السلف الصالح الذي كان في هذه الأرض الطاهرة الزكية خصوصاً في لابيوت التي لا يزال بها آباء وأمهات تأثروا بالمدرسة السلفية وبقاياها الأخيرة، وأما الآباء الذين نشأوا في أحضان الرياضة والرحلات والموسيقى واللغة الأجنبية ودراسة الشكوك الدينية فلا أدري ماذا بقي معهم من الوعي الإسلامي والثقافة السلفية!.

وعلى مدى قوة الإيمان والمعرفة والاطلاع والارتباط بهذه الطريق لدى الآباء والأمهات يكون الحال لدى الجيل المعاصر وإنها لضرورة ملحة قبل أن يفوت الأوان وتصب العقليات الجديدة لأبناء وبنات الصالحين مهداً للإلحاد والانحراف والدعوة إلى الفساد والإفساد.

قواعد العمل بالطريق الصالح:

لاشك أن للعصور المتعاقبة بعادتها وتقاليدها ومفاهيمها وثقافتها وعوم أحوالها تأثيراً بالغاً في محاور التفكير الخاص والعام وفي السلوك والآداب والأخلاق والأماني والطموحات، بل وفي علاقة الأجيال بدينها وعبادة الله تعالى والمفاهيم الدائرة من وإلى هذه

المبادئ وفي تحديد الثقافات الإنسانية عموماً وخصوصاً وكما يقولون: « لكل بيئة حكم، ولكل زمان دولة، ولكل أمة لسان ».

ولما كان دين الإسلام الحنيف هو دين الشمول والعالمية لما فيه من كمال الشروط الإلهية التي وضعها الخالق ملائمة لخلقه خلافاً للنظريات البشرية والأفكار الوضعية فهو دائماً منهج المفكرين المؤمنين ومتجه العباقرة الملهمين، ومحط أنظار الباحثين من داخل الفكر الإسلامي ومن خارجه كما هو حال المستشرقين {**ولكل وجهة هو موليها**}[١٥٩].

ولما كانت المناهج التربوية القائمة في عالمنا اليوم هي مناهج وضعت لتلبية حاجة الإنسان وخدمة نشاطه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الخ...، فلا غرو أن صار الدين الإسلامي الحنيف هامشاً ثانوياً في هذه المنهجية المركبة شأنه شأن السلوك الديني الصحيح للمسلمين، ذلك لأن المناهج المعاصرة متصلة اتصالاً مباشراً بالعوالم المتحضرة صناعياً واقتصادياً، حيث أن أصول العلوم المثمرة لنا ألوان الاختراعات وأنواع الصناعات والاكتشافات وغيرها من الأمور المستجدة في علم الفلك والفضاء وعلم الجيولوجيا والكيمياء والفيزياء والذرة وطبقات الأرض والعلوم الطبية والصيدلة وعلوم الأغذية والنبات الخ... كلها واقعة تحت هيمنة الدور الأوروبية وحلفائها الحاقدين على الفكر الديني الغيبي، ومن هذا المنفذ الهام تقوم هذه الدور المهيمنة على هذه العلوم بفتح أنبوب رفيع يضخ أوليات هذه العلوم ومسائلها المختلفة على أدمغة المسلمين وغيرهم من البلدان السائرة في فلك التبعية الإلزامية لتدور ضمن مدارات مدروسة ومعلومة لا تحيد عنها ولا تنفذ منها لأوسع مما يرسم ويخطط لأن ذلك هو الضمان الأكيد لبقاء العالم الإسلامي تابعاً مرتبطاً مأسوراً خائفاً وجلاً غير قادر على شق الطريق الطوي بذاته لفقده شروط وأسس أولياته المسلوبة عنه ومنه.

---

١٥٩ ( ) سورة البقرة: ١٤٨.

وتحت هذه العوامل الدافئة المريبة نشطت هذه الدول الدافئة المريبة نشطت هذه الدول الصناعية بقواتها وجبروتها مستفيدة من الحال والزمان والمكان والأوضاع السائدة في العالم فأسلمت الحركة والتأثير والأنشطة الاجتماعية في هذه الأوطان لكل من يضمن استمرارية التأثير بحقن التخدير، وتؤي هذه العناصر الحاملة دور الوسيط الإرهابي والمستجيب الإيجابي بين القمة الدولية المهيمنة وبين بقايا الأفكار الدينية الراسخة وجماعات الإسلام الواعية الذائقة يطحن بعضهم بعضاً ويقصي بعضهم بعضاً عن ساحة الامتلاك للشروط.

وهكذا تشهد الدول الكبرى وحليفاتها في العالمين الشرقي والغربي نشاطاً نيابياً يؤدي لها دور الفعل في تمهيد العقل الإسلامي لقبول الشروطا لحضارية وترك المفاهيم الروحية السماوية ولو على المراحل المتباعدة إذ أن المرحلة التي نحن اليوم نصلي أوار لهيبتها حلقة منحلقات سلسلة مضت منذ قرون، وفي كل زمن يمتلك العدو نصيراً جديداً وعاملاً حدثاً يسهم في الإسراع بالإطاحة بما بقي من أطلال.

ومع ذلك فهناك من يقيضه الله من بين حطام الأخلاق وغسفاف المنكرات ليصدع بصوت الحق معلنا إفلاس هذه القواعد الشكلية المادية التي يتشبث بها العصريون ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وهذا الصوت يقوم بحفظ بعض التوازن في نفوس بعض المسلمين ويحيي لهم بصيص الأمل بين الحين والحين ولكن:

ولو أن بان خلفه هادم كفى

فكيف ببان خلفه ألف هادم

والهادمون للقيم والسلوك والدين هم آلاف الشباب والشابات الذين رضعوا الماديات منذ أن انفحت مغلقات العيون وعميت منافذ البصائر واستقبلوا أزمانهم على أصوات الموسيقى ورقصات التهتك ونوادي الجمع بين الجنسين، وفرقعة الكؤوس وعلى ثقافة السينما وبطولات التلفزيون، فهم لم يألفوا عن القيم والاعتبارات السلفية والآداب القرآنية إلا حديثاً مملاً أو تمثيلية عابرة محرفة أو إغلاقاً تربوياً حاجزاً عن اللذة واستتباع الهوى، وحتى العنصر الصالح الذي ينشأ في بيئة محافظة أو شبيها لابد أن يصيبه غبار الوباء

العصري في ذاته أو فكره أو مفاهيمه أو ارتباطه بأفراد محيطه البشري فيعيش بين عالمين تؤرجحه التيارات القلبية والعواصف الاجتماعية المحيطة حتى يقوى عوده ويقف على أحد الاتجاهين.

ونحن فيما نرغبه ونود الأحباء من أحفاد الرجال العاملين أن يسلكوا به هو الوقوف على حقيقة الحال القائم منا ومنهم لكي يعلموا أن الصراع الفكري الدائر في أنفسهم هو المخاض الطبيعي للأزمنة الوبيئة المتعاقبة التي نزعت عنا أثواب الأسلاف المحلصين وأبدلتنا كراهي لهم ولأقوالهم وأفعالهم وسننهم ومنهاجهم والحق يعلو ولا يعلى عليه مهما طال الأمد وأبطأ الفرج، قال الإمام السبكي:

اشتدي أزمة تنفرجي

قد آذن ليلك بالبلج

وظلام الليل له سرج

حتى يغشاه أبو السرج

ولعل في التذكار إحياء لقلب غافل وهمة خامدة أو نفسية ملتاعة راغبة أو موافق واع مؤمن فتجتمع من هؤلاء نبتة صالحة على طريق السلوك والبحث عن معالم الطريق.

وكل من هؤلاء الراغبين ينطلق كل فرد منهم من حيث ما أقامه الله فالطالب في معهده ومدرسته والعامل في معمله ومصنعه والزارع في حقله ومزرعته والديب في مكتبه ووظيفته والطبيب في عيادته والإمام في مسجده ومنبره، والمعلم في مدرسته ومادته فالطريق إلى الله لا تدعو أحداً إلى التجرد والرهبنة والانزواء أو الانطواء، وطريق العود إلى الله من شروطه التوبة والرجوع من حيث يقف المرء في حياته الاجتماعية مادام موقفه وموقعه مما لا يسخط

الله ولا يخالف منهج دينه الحنيف، ولا نطالب أحداً بخلع ثوب عصره ليعودإلى القرون الولى بأي حال من الأحوال[160].

وما التجرد في حقيقة الروحية إلا طرح الكون والدنيا عن القلب والالتفات إلى الله تعالى حيثما كان المسلم والرهبنة لا تعني غلق الأبواب على الذات وإنما صدق الورع والإخلاص والبعد عن الشبهات والشهوات حيثما تحرك المسلم ووقف.

وما الانزواء إلا عزلة النفس والجوارح عن الولوغ في المحرمات ومجالسة أهل الزلات والتبعات، وما الانطواء إلا إدخال النيات البشرية القاصرة في نيات السادة العاملين أهل القلوب العامرة فترفع النفس بالنيات المنطوية في الهمم العالية.

منهاج الطاعة قدر الاستطاعة:

يضيق الحصر في هذا المجال عن تعداد المؤلفات الكبيرة والصغيرة التي اقتبسها أصحابها من كتب السنة ومقررات الفقه الإسلامي الواسع، ولأسلافنا كتب ورسائل شتى في هذا المضمار ربما لا يجد بعض المعاصرين لها وقتا كافياً مطالعاً واستيعاباً على هذا الطريق.

---

[160] ( ) ذلك لأن المدرسة العلوية بمنهاجها الخاص والعام لم تعد اليوم هي الفاعلة في عموم عقليات الأحفاد والأبناء بعد أن صار الأحفاد والأبناء وغيرهم طلاباً في المدارس الاستشراقية القائمة في العالم الإسلامي من طرفه إلى طرفه، وطموحهم وغايتهم هي ذات الغايات والمطامح التي يبني عليها شباب أوروبا وأمريكا وغيرها مطامحهم وآمالهم وبناء مستقبلهم والاختلاف إلا من حيثيات بسيطة تذوب في دورة الثقافات المرحلية المتنامية ولذلك فمن الخير الكبير أن يتدارك القارئ منا نسبة من نسب السلوك والآداب ليحيي بصباً من الارتباط العرقي القائم والذي لا زال به وللأسف نتباهى ونتفاخر على الناس مع سقوط الشروط الأخرى مما أتاح للمعاول الشرقية وأعوانها المبثورة عن التسلسل الروحي الأصيل أن نتناول مسألة الشجرة العلوية وتطعن في صحتها كوسيلة أخرى من وسائل الهدم الذي لا يتم تطويف الإسلام وتركيعه إلا بها.

ولذلك فإنا نوجه الأخ الراغب في سلوك الطريق الموصل إلى الله في هذا لاشأن إلى المنهاج فاتبعه ترشد إن شاء الله تعالى:

١- الاستعداد القلبي للأخ بالطريق، وصورته أن يكونا لمريد راغباً كل الرغبة في الخروج من ضيق الحياة المادية هارباص من مفانها وبلوائها وصراعها مقبلاً كل الإقبال على أسباب تصفية النفس وشحذ موهبة الذوق على مراد الشرع.

٢- التوبة وكيفيتها: إحداث توبة صادقة لله تعالى حيث لا يدرك شأن خواطرك ولواعجك إلا هو {**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**}[١٦١] وأمر التوبة مبني على ما يلي:

(أ) الغسل بنية الخروج عن كل ذنب أذنبته في حياتك الماضية سواء متعلقاً بالله جل وعلا أو كان متعلقاً بالناس، وإن استطعت أن تستعفي ممن ظلمتهم كان الأمر أولى، وإن لم تستطع فالله جل ثناؤه يرضي عنك الخصوم بحسن توبتك ورجائك فيه.

(ب) أن تصلي لمولاك ركعتين من جوف الليل غن استطعت أو في أي وقت غير محرَّم بنية التوبة والرجوع إلى الله والانخلاع عن الماضي، وغذا فرعت منها ترفع إلى السماء يدك وتدعو الله تعالى لنفسك بالقبول.

(ج) أن تبني توبتك على الإقلاع التام عن المعاصي وأن تندم على لها وأن تعزم ألا تعود إليها أبداً.

٣- المحافظة على الواجبات الشرعية، وهي ما أمر الله تعالى به عباده من الأوامر الإجبارية التي لا بول للعبد عند الله إلا بأدائها والقيام بها وهي العبادات.

---

١٦١ ( ) سورة الشورى: ٢٥.

وأركانها: تحقيق الشهادتين قولاً اعتقاداً وعملاً وتبليغاً، وإقامة الصلوات الخمس المفروضات، وإيتاء الزكاة لمستحقيها عند استجماع شروط وجوبها، وصوم شهر رمضان لله إيماناً واحتساباً، وحج البيت الحرام ولو مرة في العمر مع الاستطاعة.

وثمرتها: الإقبال على الله، واتباع الأوامر، واجتناب المناهي.

ومن الأوامر: بر الوالدي وخدمتهما رجاء ثواب الله، وصلة الأرحام والتصدق عليهم والإحسان إلى الفقراء والمساكين وتفقد أحوالهم، وزيارة المرضى وتشييع الجنائز، والتردد على الأولياء والعلماء والصلحاء وطلب دعائهم.

ومن المناهي: الحذر من ترك الصلاة أٓ تأخيرها عن وقتها بغير عذر، أو التهاون في الجماعة واجتناب المعاصي كبيرها وصغيرها، والحذر من الغيبة اولنميمة والهمز واللمز وظن السوء بالمسلمين أو أذيتهم بقول أو فعل وتجنب تصديق النفس الأمارة بالسوء من حقد للمسلمين أو كراهية لأحدهم.

وتلحق هذه المسائل المهمة آداب هامة ولازمة للراغب في الخير والبركة ومن أهمها ترتيب الأوقات في أعمال الطاعات، فيكون منها ما هو مخصص لحضور مجالس العلم ومجالس الذكر، ومنها ما يصرف في مطالعة كتب وسير الأسلاف الصالحين وقراءة القرآن والحديث ومصنفات العلوم المفيدة، ومنها للأوراد والطاعات والعبادات وهذا دليل موجز مقتبس من كتاب المسلك القريب للإمام العلامة الحبيب طاهر بن حسين يمكن للمبتدئ أن يروض نفسه على العمل به حتى تمطئن بالعمل ثم يرتقي عند الاستئناس والاسترواح إلى العمل بما في المسلك القريب ووسيلة العباد وسبيل المهتدين وغيرها من كتب السلف في الأوراد والأحزاب المباركة، ولا نوصي أحداً من أحفاد العلويين بالانشغال بكل هذا والوقوف عليه، وإنما نوصيهم بترتيب الأوقات ووضع برنامج للحياة وإذا عن للفرد امر أهم من ذلك فليبدأ به، فطلب العلم أهم من قراءة الأوراد وخدمة المجتمع والمسلمين بما يرضي الله ورسوله أفضل من الانقطاع والمطالعة ولكن الترك للخير وأسبابه مما لا يستساغ

للمسلم خصوصاً أن أوقاتنا تتسع لأمور كثيرة من اللهو والمتع ومجالس الأصدقاء إضافة إلى أعمالنا الحيوية في المجتمع والحياة فما بالها لا تتسع لشيء يسير من الخير المبرمج والمنظم.

أدعية آخر الليل والصباح:

عند الاستيقاظ من النوم يقرأ الآيات العشر من آل سورة آل عمران، بعد قراءة دعاء الاستيقاظ المأثور وهو: « الحمد لله الذي أحياناً بعدما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي، وعافاني في جسدي، وأذِنَ لي بذِكْرِه ».

وبعد أن يتوضأ وضوءه للصلاة يقرأ دعاء الوضوء المأثور: « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، واجعلني من عبادك الصالحين ».

ثم يركع لله ركعتين يقرأ في الأولى: {**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**}[162] وقوله تعالى {**وقل يا أيها الكافرون**}، وفي الثانية: {**ومن يعمل سوءاً أ يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً**}[163] ، و{**قل هو الله أحد**}.

ثم يصلي من الليل ما شاء، ويختمها بركعة الوتر، ويقرأ في الصلاة بشيء من القرآن مع التدبر والتفكر، ويصلي بعد أذان الفجر ركعتين خفيفتين قال عنهما رسول الله صلى الل عليه وآله وسلم: « **هما خير منا لدنيا وما فيها** » ثم يعتمد على ما أورده صاحب المسلك من الأدعية وكلها خفيفة ومختصرة.

بعد انقضاء صلاة الفجر يقرأ ما يعتاد من الأذكار: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير » ويسبح الله ثلاثاً وثلاثين، ويحمد ويكبر كذلك، ويختمها بالأدعية الواردة في المسلك، ثم يقرأ الورد اللطيف المبارك، وإذا

---

١٦٢ ( ) سوءة النساء: ٦٤.

١٦٣ ( ) سورة النساء: ١١٠.

استطاع أن يذكر الله إلى الإشراق فذاك خير، وإن لم فيترك ذلك حتى تتروض النفس وتمتلك له أزمتها، وإذا أشرقت الشمس وارتفعت يصلي ركعتي الإشراق، وإذا انتصف النهار يصلي صلاة الضحى، وأقلها ركعتين ثم أربع ثم ثمان، وإذا دخل وقت الظهر صلى القبلية أربع ركعات بتشهدين وتسليم واحد، وبعد صلاة الظهر وقراءة أذكر ما بعد الصلاة يصلي أربعاً بعدية الظهر وإن اقتصر على ركعتين فلا بأس، والأربع أفضل.

وإذا دخل وقت العصر يصلي أربعاً قبله لحديث: « رحم الله امرءاً صلى أربعاً قبل العصر » ثم يجلس للاستغفار، يستغفر الله سبعين مرة بصيغة « أستغفر الله » ثم « أستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات » أربعين مرة، ثم إن بقي من الوقت شيء يقرأ شيئاً من القرآن حتى يقام بالعصر وبعدها يقرأ الأوراد المألوفة ثم يواظب على قراءة سورة الواقعة بعد والدعاء بعدها بهذا: « بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وهب لنا به صلى الله عليه وآله وسلم من رزقك الحلال الطيب المبارك ما تصون بها وجوهنا عن العرض لأحد من خلقك، واجعل اللهم لنا إليه طريقاً سهلاً من غير فتنة ولا محنة ولا منة ولا تبعة لأحد، وجنبنا اللهم الحرام حيث كان وأين كان وعند من كان وحل بيننا وبين أهله واقبض عنا أيديهم وأرجلهم حتى لا نتقلب إلا فيما يرضك ولا نستعين بنعمتك إلا فيما تحبه وترضاه، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا توهنا بالإقتار فنسترزق طالبي رزقك، ونستعطف شرار خلقك، ونشتغل بحمد من أعطانا، ونبتلى بذم من منعنا وأنت من وراء ذلك كله أهل العطاء والمنع، اللهم كما صنت وجوهن عن السجود إلا لك فصنا عن الحاجة إلا إليك يا غني يا حميد أغننا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عن سواك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين ».

ويقرأ بعد ذلك حزب البحر للإمام الشاذلي كما هي في ترتيبات السلف الصالح لما فيه من البركة والنور[١٦٤] وإذا فرغ من صلاة المغرب يركع ركعتين بعديتها ثم يصلي منا لأوابين حسب طاقته يبدأ بركعتين وتليها أربع أو ست أو يصلي أكملها وهي عشرونن والأولى الاقتصاد على ما يمكن المداومة عليه.

ويقرأ في هذا الوقت المبارك شيئاً منا لقرآن ثم يقرأ راتب الإمام الحداد وهو مجموع من الأذكار المأثورة والأدعية المستحبة وإذا دخل وقت العشاء يركع القبلية وأقلها ركعتان وأتمها أربع ثم بعد صلتا العشاء وتمام الذكر الوارد يصلي البدعية ركعتين ويقرأ فيهما إن استطاع بالدخان وتبارك، وإلا فليؤجل قراءة السورتين إلى ما بعد ذلك.

ثم يصلي الوتر ثلاثاً إذا كان يخشى تكاسله عن قيام آخر الليل، وإن كان ممن يثق بقيامه يؤخر الركعة الأخيرة إلى ما بعد صلاة الليل فيختم بها صلاته، وينبغي أن لايطيل السهر باللهو والمتع الملهية حتى يمكن له القيام لصلاة الفجر وقيام شيء من الليل.

وإذا آوى إلى مضجعة ينبغي له أن يذكر الله بشيء من الأذكار الواردة في المسلك ولو اقتصر على بعضها حتى تألف نفسه الدعاء ولا يترك آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والإخلاص والمعوذتين.

وقد جمعت كتب السلف وكذلك الأذكار للإمام النووي كثيراً من هذه الأوراد المرتبة حسب أوقاتها فينبغي العود إليها للعمل بها على طريق التدرج ومنها دعاء الدخول إلى

---

١٦٤ ( ) قد لا يستسيغ بعض المتأثرين بمدرسة التقنين الحديثة لشريعة الإسلام والقائلين برد الأوراد والأحزاب التي لم يفعلها لرسول ولا أثرت عنا لصحابة، فنوصي الحفيد العلوي ومن نحا منحاه عدم الالتفات لهذا القول لاختلاف العلماء في شأنه ولاتفاق علماء السلف الصالح إلى عهد الصحابة على جواز قراءة الأدعية التي تروى عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ودع القول بالرد لأصحابه، فإنما هم على غرض آخر يهدفون ويغنون ولحديثنا هذا على عدالته لا يقرون ولا سمعون وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المسجد ودعاء الخروج منها ودعاء الدخول إلى المنزل والخروج منه ودعاء الدخول إلى الحمام ودعاء الخروج منه[١٦٥].

وسائل الطريق:

للطريق إلى الله وسائل ضرورية وهامة يقطع بها المريد قواطع الشيطان وسوسة النفس الأمارة وتزيين القرناء من شياطين الإنس المثبطين عن الخير والتقوى ونلخصها فيما يلي:

أوله: الشيخ الحاذق الفطن اللبيب، والشيخ في اصطلاح أهل العلم هو (صاحب الفائدة والحكمة الزائدة)، وفي كتاب (الفوائد المكية) للعلامة المحقق السيد علوي بن أحمد السقاف: «آلات العلم أربعة:

شيخ فتاح لأقفال القلوب، وهو الذي كملت أهليته واشتهرت صيانته، وكان له في العلوم الشرعية تمام الاطلاع وله مع من يوثق من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع

---

١٦٥ ( ) وقد جمع الحبيب البركة أبو بكر العطاس في كتابه (تذكير المصطفى لأولاد المصطفى) نبذة من هذه الترتيبات السهلة التي يمكن العمل به أمثالنا من أهل هذا العصر الأخير ومما هو جدير بالإثبات هنا أن الآخذين بهذا المنهاج الروحي هم على أصناف متعددة، فالآخذ منهم بقليل منه، واآخذ بالنصف وزيادة والآخذ بالآداب والأخلاق والسلوك الكل والرافض للأمر من أسسه سلباً والمعترض المنتقد المتهجم المزبد المرغب ضد الأمر قولاً وفعلاً ونية وإعادة، وذلك عائد أولاً إلى مدى الفهم والوعي لما نحن بصدده وإلى الحال الفكري والمادي والاجتماعي الذي يقف فيه المرء حالياً فقد تتصور الحقائق في الأذهان يوماً لأمر تضافرت عوامل عديدة على عقليته المحدودة أنها الباطل بعينه وذاته ولا يدرك الخطأ إلا بعد انقشاع سحابة الوهم عن عقله وفكره فيجد نفسه قد ظلم نفسه مثل ظلم غيره، ولا عجب فيما نقول فإن شواهد هذا جلية وواضحة في حياتنا اليوم، وكم من عقلية اليوم بلغت إلى مبلغ الأثر والتأثير وهي مأسورة في قيد هذه العوامل ويااللأسف.

ونسأل الله الهداية لنا ولهم إلى ما يقربنا إليه ويصلح لنا أمر الحياتين، آمين.

يوضح العبارة ويجلي له الإشارة ويجلو مرآة قلبه بلطائف المعارف الواردة من فضل الله تعالى ».

والشيخ في حقيقته هو الأستاذ المتخصص في معالجة المريد من حيث تزويده بالعلم وتدريبه على العمل ومعالجة أدوائه القلبية المثبطة عن قطع مسافات البلوغ إلى مرتبة (الإرادة الذاتية) التي يتصف فيها المريد بالإحسان بعد كمال علمه وعمله بالإسلام والإيمان اعتقاداً وسلوكاً، وأسلافنا العلويون رحمهم الله لم ينطلقوا من فراغ في هذا المفهوم التربوي العظيم، وإنما هم يقتدون بالمدرسة النبوية التي أنجبت الأشياخ الأوائل الذين كانت لهم فضائل وضع القواعد والأسس في نقد الرجال وجرحهم وتعديلهم والإحاطة بشئون علمهم واتجاهاتهم حتى لا يقبل حديث أحدهم إلا إذا صفت مدرسته وعرف شيخه وإمامه في الرواية والأخذ.

ولذلك فالشيخ المربي والمسلك لدى الأسلاف العلويين خاصة أمر يقف عليه شأن التربية والتسليك ولهم في هذا الشأن نهج خاص متفرد عن بقية مناهج المدارس الإسلامية.

والذي نحن بصدده في هذا الأمر أن المريد الراغب في قطع مسافة القلب ليخلو من الوسواس والهم والغفلات فعليه أن يبحث له عن (شيخ) تجتمع فيه الصفات المذكورة آنفاً، وأهم ما ينبغي الاهتمام به وأنت معه أنك ميت النفس ذو استعداد تام للتلقي عنه والأخذ منه والانطراح على بابه، فإن وجدت قلبك على هذه الصفات مطمئن بها متمكن فاعلم أن روحك قد انست إلى روح شيخك فاكرع من الحياض[١٦٦] وأبشر النور الفياض، وإن

---

[١٦٦] ( ) كناية عن قرب طريق الوصول إلى الله واختصار مسافة الجهد الذاتي المتشعب في أودية الاستحانات والنزوات إذاهو الطبيب القادر على وصف العلاج الناجع لك وتشخيص الأدواء شانه شأن طبيب الأعضاء والجسم في تحديد الوصفات والأغذية والأدوية الخ... أما أنت لعيادته ذاهب وغير متردد إذا ألمت بك جراحة أو ألم أو أزمة نفسية، تراك تشعر بالاطمئنان بوصفه وتعرفه وتشخيصه، وقد يكون يوماً ما طبيبك الخاص، أو طبيب العائلة بعد أن تلقي له زمام الثقة ويبرهن لك نجاح تشخيصه وطبه، فافهم مانعني بالشيخ والزم ترشد إن شاء الله.

صادفك قلبك إليه غير مائل، وتنكر من قلبك نحوه نفوراً أو قيام نفس أو باتهام له في مسلكه أو مشربه أو مفاهيمه فاحذر أن تكون لزيمه أو مريده فإنك لا تخرج من هذه الدائرة إلا أكثر ظلمة ووحشة وحقداً وجهلاً، إذ أن الطباع الروحية لم تتآلف، والجوانب المعنوية لم تتشاكل، فابحث عن شيخ تجتمع فيه الصفات المرغوبة والشروط المطلوبة.

وتلك أهم الوثائق الثابتة على طريق الاستيعاب لما يغمض من المفاهيم والعبارات والأقوال النابية التي قد تنزعج منها النفس وتقلق منها الروح، كما أنها محطة انطلاق بين الفينة والفينة للانطلاق من حال إلى حال ومن مرتبة إلى مرتبة ومن معرفة إلى معرفة ومن سلوك إلى سلوك، وهذا ما عرفنا بالتجربة اولمشاهدة بعد البحث والتنقيب عن الأشياخ.

وإياك إياك من الإصغاء إلى المتنطعين المنكرين هذا البيان المستهزئين بالأخذ والتبرك والانطراح على فحول الشيوخ أهل العرفان، واعذرهم فيما يجهلون فالمرء عدو ما جهل، وأغلق منافذ الاستماع عنهم فإن الوصول لا يتأتى لك ولا لغيرك ما دام له أذن مولية شطر الأقوال والعذال، فكن منهم على حذر ودع الجدال والمراء والهذر، وأقبل على الله من هذا الطريق ترشد إلى الخير والهدى، والله يهدي إليه من ينيب.

وإن طال بك البحث ولم تأنس نفسك إلى شيخ بينه فاعلم أنك محتاج إلى إصلاح ذاتك وقلبك، واجعل لك في هذه المرحلة القلقة أوقاتاً تخلو فيها مع مولاك بصدق المناجاة وشريف المصافاة من قرآة قرآن وأذكار وصلاة نوافل حتى تشرق على قلبك النور وتطمئن من قلق البحث والتسيار وتسأل ربك أن يختار لك ما فيه الخيرة الصالحة، فلن تخيب بإذنه تعالى، فقد تكون روحك روحاً مطلقة القيود تسير إلى مولاها بجذبة ذاتية، وسير قلبي خاص، ومثل هذا قليل.

١- أن يكون لك اعتناء خاص بقراءة سير الصالحين وأخبارهم ومجاهداتهم وآثارهم واصطلاحاتهم وخدمتهم لمولاهم، ففي ذلك تحريك للنفس من رقدتها.

٢- ولا ينبغي لك أن تقف عند الكرامات والخوارق فتدور في فلك من الشكوك والظنون والأوهام كما وقف من وقف وقذف من قذف واستوحش وضاق من لم يفهم من الولاية غير الشعوذة والشعبنة والتمائم والرهبنة وأصناف السحر والصرف وفك المعقود ومسح رأس المولود، فإن عصرنا قد باعد بيننا وبين الإيمان بالكرامات والمعجزات حتى صارت منكراً وخبراً غريباً لإعراضنا عن الثقافة الدينية الغيبية المحضة، ولذلك فاجعل من هذه الأمور مادة مؤجلة البحث والحور إن لم تجد لها شيخاً يجلي غامض الشك عنك والريب، وإياك من مؤلفات الأعداء المحاربين للأولياء، أو من المغالبين الخارجين عن دائرة الإسلام بشيء من السحر أو التنجيم أو غير ذلك فما نحن بصددهم ولسنا ندعوك إلا إلى الهدى وطريق مستقيم.

٣- لا تنس نفسك أيها المريد من الأخذ بالعلوم الشرعية كفقه العبادات والمعاملات وإن توسعت فخير تكسبه لنفسك وتهديه لغيرك، واعلم أن السلف يقولون: « من تصوف قبل أن يتفقه فقد تزندق » وخذ لك من علم النحو والبيان والبديع ما يستقيم به اللسان وتشق به طريق حوارك وحديثك وإقناعك لأمثالك حتى لا تكون سخرية المتحذلقين وأضحوكة المتفيقهين ومثالاً سيئاً للمريدين وعرج على شيء منا لعلوما لعصرية وخذ لك من الاطلاع بها نصيب، ولا تعجز أن تكون قدوة في العلم والمعرفة والاطلاع على ما يلزم من أمور الحياة، فإن العلم بالشيء خير من الجهل به، إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً أو ضلالة من ضلالات الأزمان.

واحذر من الوقوف على سقسطة الفروع الفقهية مما لا طائل تحته ولست منه في حاجة دينية ولا دنيوية واعذر أصحابه فيما هم فيه يخوضون حتى لا تنصب نفسك تهمة يتهمونك بالجهل والزيغ والابتداع.

وواظب كل المواظبة على حلق الذر والعلوم النافعة واجمع فوائدها الشاردة وغوامضها الواردة واعمل بقول الشاعر المجرب:

العلم صيد والكاتبة قيده

قيد صيودك بالحال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة

وتفكها بين الخلائق طالقة

وناقش أندادك فيما يلزم من الغوامض العلمية وتلطف وموت نفس ورغبة في الفائدة حتى إذا رأيت الأمر قد أصبح رمياً ولغواً وتناولاً من هنا وهناك فضع رأسك في حجرك مطرقاً، وأسأل الله العافية.

٤- عود لسانك على الجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس بنية التأسي والاتباع للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والسلف الصالح، وابدأ بمن في منزلك من الأهل والإخوان والأولاد، واعمل بالنصيحة قبل الأمر به فإنه أجدى وأنفع بالأخلاق، وليكن لك نصح فردي وجماعي، فالفردي أن تنصح أمرئ في تقصير ظهر منه دون أن يسمعك أحد، والجماعي أن تواجه إخوانك أو زملاءك في مدرسة أو عمل بنصيحة حسنة في أي أمر من الأمور ترى أنك قد سبقته إليهم وهو من فضائل السلوك والأعمال، ويستحب أن يكون التوجيه في هذه المرحلة مصحوباً بإظهار سؤال عما تروم الحديث عنه حتى تكسب آراء الأنداد والأمثال قبل أن تقوم منهم النفوس ضد التوجيه المباشر حيث أن البشرية يغلبها الطبع فلا تميل لنصح الناصح عموماً، فإذا كان الناصح من درجة المنصوح وسنه ومرتبته وحاله فالنفور أكثر وأشمل.

٥- قطع كل علاقاتك الأولى وصداقاتك وطموحاتك الرعناء الموافقة لعقليات الأصدقاء والزملاء الذين كان لك بهم الارتباط والود، واعتزل

مجالسهم وأماكن لهوهم ولعبهم واجتماعهم مع كمال اللطف والاعتذار دون جرح في شخصياتهم أو مسلكهم حرصاً منك على اقتدائهم بك في يوم من الأيام، وإذا عن لك أن تنصح أحداً منهم فليكن بعد زمن طويل من الانفصال عنهم حساً ومعنى.

٦- غض بصرك كل الغض عن التطلع إلى عورات جيرانك في بيوتهم أو حياتهم الخاصة والعامة، وكن عنهم وعن كافة المسلمين أقارب وأباعد في تغافل تام، واتهم نفسك بالجهل والعيب والتقصير، وإن كنت في بيئة اجتماعية منفتحة العلاقات حيث يختلط الرجال بالنساء في الأسواق والمدارس والحدائق وغيرها فالزم بصرك الغض عما دون الطريق والحاجة الضرورية، وإذا أبصرت شيئاً بالصدقة فلا تكرر النظر مرة أخرى فالأولى لك والثانية عليك وفيها يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: « **من نظر ولم ينظر أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته** ».

٧- ابتعد كل الابتعاد عن مواطن اللهو واللعب كدور السينما، والحدائق العامة المشبوهة، ومواطن الغناء والرقص والموسيقى، فكلها مواطن قسوة ومرض قلبي، وكف أذاك عمن لا يقبل منك النصح والتوجيه في تركها وكل أمره إلى الله وادع له بالهداية وإذا كان لك في منزلك أو منزل أهلك جهاز للتلف كما يسمونه بالتليفزيون فاحذر من عبادة برامجه وعرضه ومرضه ومسلسلاته، ونظم لأهلك ما استطعت وقتاً للنظر فيه للأمور الهامة المفيدة، وتجنبه إلا للمفيد المفيد فإنه صنم العصر المعبود.

وإذا لم يقبل منك أهلك النظام فاعتذر لهم واظهر لهم نفورك وكراهيتك لحالهم ووجههم بالتي هي أحسن، أما إذا كان لك أولاد أو إخوة صغار فالجزم والحزم أنفع من المداراة، وجدول أوقاتهم ورتبها ترتيباً يسمح لهم بمشاهدة ما يناسب سنهم ويشرف بهم على حسن السلوك والآداب الصالحة لا غير.

٨- لا تتردد في أمر الارتباط الزوجي مبكراً بشرط حسن الاختيار للمرأة الصالحة العفيفة المؤدبة، وابحث عنها مستعيناً بأبيك وأمك أو بمن تثق فيه من الصالحين، وإياك من الاختيارات العصرية والتهويشات العاطفية الجهرية والسرية فإن الحب العصري وباء جاءت رياحه من محيطات الأقذار والكفار والفجار، ولابأس بأن تنظر إلى وجه خطيبتك وكفيها، واقتصر بعد الخطبة على ما لا شبهة فيه ولا حرام، ولو استطعت أن تقدم العقد الشرعي أبان الخطبة فهو خير من الدخول والخروج بلا رابط شرعي، وكن متوسطاً في الحب والكره والغضب والرضا، واعتدل في أمر جهازك وزواجك وتأثيث بيتك لا تسرف ولا تؤجل أمر الخير إلى الغد، وكن لزوجتك قدوة في كل شيء، ولا تقبح ولا تضرب وإن أغضبك منها أمر فاحمل أمرها على العذر إلا في حدود الله، واجعل شعارك قول المعلم الأعظم: « **خيركم خيركم لأهله، وأنا أخيركم لأهلي** ».

٩- تجنب أكل المال الحرام أو الشبهة أو الحيلة من الربا والتطفيف أو الغش في الكيل والميزان أو غيرها من سيء المعاملات المنهي عنها في كتب الشرع الحنيف.

واحذر كل الحذر من المعاملات الربوية المنتشرة في عصرنا على أي صورة كانت واحرص على أن لا يدخل جوفك وجوف أهلك وأبناءك إلا حلال خالص وهو ما تكسبه من جهدك وعملك ووظيفتك أجراً صحيحاً، أو ما أهدي لك من غيرك وأنت على علم بحال صاحبه، وإلا فتنزه كل التنزه عن غيرر ذلك ولو عشت فقيراً.

١٠- عليك بحسن الظن في المسلمين والمسلمات عموماً ولا تتهم أحداً في دينه أو خلقه، إلا إذا رأيت أمراً مريباً فاستره وادع لصاحبه بالتوبة والصلاح.

واحبب كل مسلم حباً لله تعالى خالصاً، فإن المحبة وحسن الظن يلحقان الأصاغر بالأكابر[167]، ويعدلات الطبع ويصنعات الأعاجيب في النفس البشرية.

وإياك من التهمة والريب في المسلمين عموماً وخصوصاً واحمل ما يبدوا على على الجهل والبشرية، وكن لمسيئهم ناصحاً ومحسناً ولفقيرهم محباً ومتصدقاً ولغنيهم داعياً وراضياً، ولا تلتفت إلى أحد في أمر يعنيك واتجه إلى الله في كل حال يغنيك.

لا تسألن بني آدم حاجة

وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله

وبني آدم حين يسأل يغضب

وإياك من الرياء بالأعمال فإنه الشرك الخفي يحبطها ويجعلها هباً منثوراً، ونزه نفسك عنا لغيرة المريضة وهي المشوبة بالحسد وأكثر لها من دعاء علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة الصديقة رضي الله عنها: « اللهم اذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ».

واعلم أن النفس البشرية لا تخلو عن عيب وقصور إلا أن أهل هذا الطريق قد علموا أن مخالفةا لنفس طريق سهل لامتلاك شأنها وتصحيح جبلتها:

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصماً ولا حكما

فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

١١- ولا تغفل عن ذكر الله ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ووزعه بين الاستغفار ولا إله إلا الله محمد رسول الله، والصلاة عليا لنبي صلى الله عليه

---

[167] ( ) عقد اليواقيت: ١/٥٨.

وآله وسلم بأي صيغة تحفظ وعدد الصلاة بالكيفيات والصيغ المختلفة وعود لسانك الذكر في الطريق والبيت والسفر والحضر، قال الإمام الحداد:

وإن رمت أن تحظى بقلب منور

نقي عن الأغيار فاعكف عن الذكر

وثابر عليه في الظلام وفي الضيا

وفي كل حال باللسان وبالسر

فإنك إن لازمته بتوجه

بدا لك نور ليس كالشمس والبدر

ولكنه نور من الله وارد

أتى ذكره في سورة النور فاستقر

وهذا هو عين التفرد النوعي في بشرية المسلم حيث يصبح بهذه الأذكار والأوراد المأثورة شبيه بالملائكة في حمدهم وفي شكرهم وتقديسهم لجلال الله خارج بهذا السلوك عن البشر الغافلين والجنسيات الناكصة على عقبها.

١٢- وإياك وطلب الرياسات والتصدر في المجتمعات فإن الرياسة لطالبها نجاسة إلا إذا تعين الأمر وانعدم البديل وصدقت النية ووضح القصد فلا بأس بتصدر في علم أو تعليم أو إصلاح بين الناس على ما يقتضيه الشرع واحضر من الإفتاء في المسائل فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « **أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار** »[١٦٨] وادفعها عنك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً فإن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين تدافعوا الفتوى حتى أنها لتدور المسألة على العدد الكثير منهم خشية الوقوع في المحذور، ولابأس أن تفتي في مسائل الفقه الذي لك به دراية ولا يترتب عليه

---

[١٦٨] ( ) رواه الدارمي.

إقامة حق ولا وضع حق، وأما ما يتعلق بحدود أو معاملات أو نكاح أو طلاق أو غير ذلك من مسائل الفتوى والقضاء فاتركها لأهلها « **فإن من تولى القضاء فقد ذبح بغير سكين** »[169] ولربما سمعت من يطعن في هذا الأثر ويقول إن ترك مراتب الفتوى والهروب منها قد بوأت من لا يستحقها من غير أهل العلم، فاعلم أنك سالك ولست حاكماً، فمن كانت له في سويداء قلبه رغبة إلى الحكم والتسلط فلن يوفق في هذا الطريق إلا من رحم الله خصوصاً في مثل هذا الزمان الذي اختلط فيه الحلال بالحرام والحابل بالنابل والعالي بالسافل.

وقد كان في السلف الصالحمن ادعى الجنون عندما سمع أن والي البلاد يرشحه للقضاء رغبة في عدم تحمل المسئولية في الدنيا والآخرة، وإنما الأعمال بالنيات.

١٣- حدد موقعك في هذا العصر المريض من كافة الأحزاب والمنظمات المنتشرة في الأوطان الإسلامية واحذر أن يكون لك في أحدها ارتباط أو عضوية وعامل المسلمين الكل بالحسنى وادع لهم بالخير والصلاة فإن الاتجاهات المتباينة تجعل في القلب عداء لكل مخالف نهجها وسياستها حتى لو كانت تجعل الدين لها منطلقاً وهو أمر يخالق القول السماوي {**إنما المؤمنين أخوة**}[170] وفيه من الضغائن والأحقاد مالا يخفى على مسلم عاقل.

وإن ابتليت بأحد منهم فدره بالحسنى ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واعلمه أنك وإياه على طريق نهايتها واحدة وهي رضاء الله والعمل في سبيل الله[171] ولا تلتفت إلى ما يتحذلق به الراغبون في الهيمنة السلطوية بلا فقه في الدين ولا نظر في اخلتاف منازع ورغبات ودواع

---

[169] ( ) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال العراقي: إسناده صحيح.

[170] ( ) سورة الحجرات: ١٠.

[171] ( ) إن كانت نيته صالحة وغرضه صحيحاً.

المسلمين فإن التجربة أثبتت تهويش البطالين واختلاط الكذابين بالصادقين على طريق الحزبية المعاصرة حتى إذا تحقق أمر ما ظهر الكذب على الله ورسوله وعلى المؤمنين.

واعلم أننا موعودون بالنصر والظهور ولكن ليس على الطريقة الحزبية المعاصرة، ولكن بظهور من وعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بظهوره وأوجب علينا طاعته والسير تحت رايته في سبيل الله وهو الإمام المهدي المنتظر، وقد آن أوان خروجه، ولا نشك في ذلك ولا نرتاب، وقد ثبت في كتب السنة وتوثقت الروايات في شأنه، ولا يلزمنا ديننا أن نتحرك بأي صورة ما قبل مجيئه وظهوره تجنباً للفتنة وبعداً عن أهلها، فاعلم واعمل.

وإياك، بل إياك مرات ومرات من أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويحملون الأمور على غير حقائقها فقد امتلأ بهم المحيط وضاقت بهم الصدور فيفسرون كل موقف لا يقف على طريقهم بما يحلو لهم اتهاماً وزيفاً وخرقاً وكذباً على الله ورسوله والمؤمنين، يشمون روائح الخطيئة في الأبرياء ولا تزكم أنوفهم من مقارفتها {**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً**}[172] يحللون كل مكتوب ويفسرونه لخدمة دعواتهم وصيحاتهم وافتراءاتهم لا يسلم منهم صالح ولا تقي ولا ذو عزلة ولا مؤمن نقي، ولا يسلم من أقلامهم ومن ألسنتهم إلا من طوى عقله وعلمه ودينه وفكره وكل طموحه الديني المشروع في دواليب مستودعاتهم وأرشيف أسرارهم وملفات أعمالهم وعمالهم، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

واعلم أن الطريق التي نحن بصددها تسديد واع وتصحيح لكبوات نفوسنا وثمرات خبرة نضعها حباً في الله ورسوله لأشباهنا وأمثالنا لا نرفع خلفها شعاراً إلزامياً ولا ننفذها بقوة سلاح ولا مال ولكنا نضعها في كفة الدعوة الإسلامية القائلة {**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظى الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**}[173].

---

١٧٢ ( ) سورة البقرة: ١٠.

١٧٣ ( ) سورة النحل: ١٢٥.

التواصي بالحق قاعدة تربوية علوية إلى اليوم ونماذج من وصايا السلف:

لقد درج أسلافنا الصالحون رحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم وسلك بنا مسلكهم وأجرانا مجراهم على التواصي بالحق والتواصي بالصبر في كل حال ومقال وسفر وحضر وسراء وضراء، والمؤلفات المتنوعة من كتبهم زاخرة بها ومشحونة بأدبها، ومادة هذه الوصايا غالباً أسس التقوى والاستقامة وقواعد السلوك المرضي لرب العالمين وخلاصة التجربة الروحية السلفية التي يرقى بها ومن خلالها أبناء هذه الطائفة المصطفوية ويسري منهم فيض الصلاح اولإصلاح والاسترواح إلى غيرهم من المريدين والمحبين الصادقين والمتعلقين بهذه الطريق ذات النور المبين، وقد أشاد الإمام الحداد بهذه الآثار فقال:

فإن أحاديث الحبة مرهم

لقلبي من الداء العضال المخامر

إذا فاتني قرب الأحبة واللقا

ففي ذكرهم أنس لوحشة خاطري

فتذكارهم راحي وروحي وراحتي

يطيب به قلبي وتصفو سرائري

والأمر الذي لا يفوت على السالك المنصف اتفاق أئمة السلف على أهمية طرائق السلوك إلى الله التي سار عليها هؤلاء السادة أباً عن جد إلى مصدرها الأول ومبدأها الأكمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهم- أي السلف الصالح- يوصون بهذه الطريقة أبناءهم وأحفادهم، ولا يلتفتون في هذا المشرب إلى مظهر الحياة الاجتماعية وتغيراتها الكدرة ومدارسها النكرة، كل ذلك لثبات أمرهم وعلمهم بأن أدب القرآن أفضل من أدب ومنهاج النبوة أشمل وأنفع من كل منهج، وحتى أبناءهم الذين ضربوا في الأرض شرقاً وغرباً للرزق والدعوة والعلم اولتعليم قد ينجبون ويخلفون من أعقابهم من يتعلم في مدارس الاستشراق وفي مدارس الحكومات الإسلامية والعربية المتصلة بهذه المادرس مباشرة أو بصورة غير مباشرة يشمون في سلوك

أبنائهم هؤلاء وفي اختياراتهم واتجاهاتهم وطموحاتهم ونظراتهم إلى منهاج آبائهم رائحة الاستنكاف والتقزز فيكون الفارق بين الآباء والأبناء واضحاً كل الوضوح على طريق الفهم للمنهاج الإسلامي الديني الصرف، فتقوم هذه الوصايا المخطوطة بدور المنبه والمعلم والمذكر في نفوس الأحفاد الغافلين كما تكون حجة التبليغ من السلف إلى الخلف فيذكر منهم من فتح الله بصيرته وفهمه رشده، وتقوم الحجة على المدبر والمنكر والمسوف، والهداية والرشاد من عند الله {**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**}[١٧٤] ونسأله تعالى الهداية والتوفيق، ونشرع في ذكر نماذج من وصايا أهل هذه الطريق:

الوصية الأولى:

للشيخ الإمام علي بن أبي بكر[١٧٥] بن عبد الرحمن السقاف، كتبها لنفسه ولجميع إخوانه في الله، وأثبتنا في كتابه المشهور (معارج الهداية)، قال فيها: « أوصي نفسي وجميع الإخوان في الله بتقوى الله، وطاعته، هما اجتناب ما نهى عنه، وامتثال أوامره، وبملازمة كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتقاداً وقولاً وفعلاً، وتعظيم شعائر الله وحرماته، واقتفاء آثار الصالحين والمشايخ العارفين العاملين بالكتاب والسنة، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، وبحفظ الجوارح والحواس من كل حرام ومكروه، وبطهارة القلب من جميع الأخلاق المذمومة وتحليته بالصفات المحمودة، ومن أجلها وأنفعها ملازمة الصدق والنصيحة لكل مسلم، والتواضح مطلقاً، ومن أعظم ما يحصل به النشاط الطاعات وأنواع الخيرات والبعد من جميع الشرور والآفات وقوة الإيمان بالله وصدق اليقين بما جاء عن الله وعن رسوله وتلاوة القرآن والإكثار منها وقيام الليل ولو ساعة في وقت السحر بما تيسر من صلاة واستغفار والدعاء وبالمحافظة على الأذكار والأوراد الواردة في الصباح والمساء وبعد الصلوات وعند النوم واليفظة وغيرها من الأحوال.

---

١٧٤ ( ) سورة القصص: ٥٦.

١٧٥ ( ) الملقب بـ(السكران).

وقد ذكر الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في أذكاره ما فيه كفاية وبصيام البيض والاثنين والخميس وستة من شوال ويوم عرفة وعاشوراء ففي ذلك صلاح للقلوب مجرب وتحصيل كل مرغوب وببر الوالدين، وصلة الأرحام والحذر من العقوق وقطيعة الرحم فإن ذلك من أعظم الكبائر وأسرعها عقوبة تعجل عقوبة العاق القاطع في الدنيا مع عذاب الآخرة صحت بذلك الأخبار، وبحقوق الجيران والإحسان إليهم والكف عن أذاهم والحذر من أذى الجار ففيه تعجيل العقوبة العظيمة المانعة من كل خير والرفق بالنساء وحسن المعاشرة لهن والحذر من خبث الغيرة المفرطة وهي المسارعة لى سوء الظن في الأهل والفضيلة إنما هي في الاعتدال في الأخلاق، وعليك برعاية الأولاد وتعليمهم الكتاب والسنة والآداب الحسنة وبالقيام بحقوق الخلق عموماً وخصوصاً وبالرحمة لجميع الخلق والشفقة عليهم والدعاء لهم »[١٧٦] اهـ.

الوصية الثانية:

من الحبيب القدوة بركة عصره الحافظ لزمانه وأوقاته عبد الله بن حسين بن طاه، إلى السيد العامل الفاضل عيدروس بن عمر الحبشي، قال فيها: « أما بعد، فإني أوصيت نفسي، ثم من طلب مني الوصية وكل أخ في الله بتقوى الله المشروحة في كتاب الله وسنة رسول الله المبينة المفصلة المفسرة الواضحة في كتاب (إحياء علوم الدين) كما شهد بذلك أولياء الله العدول الذين ليس لأحد عن مقالتهم عدول.

(فصل) إلا فمن أراد النجاة والسلامة من شرور الدنيا والآخرة فعليه بالعمل بما في كتاب (إحياء علوم الدين) كما قال لك أولياء الله العارفون.

(فصل) من أراد الاستقامة على الطريق المستقيم وكمال المتابعة للنبي الكريم وأن يأتي الله بالقلب الصالح السليم والخلق الحسن العظيم وأن يفوز بالنعيم الدائم والملك المقيم فعليه

---

١٧٦ ( ) نقلاً عن كتاب: مواهب القدوس في مناقب العيدروس: ٥٩.

بالعمل بما جاء في كتاب (إحياء علوم الدين) كما شهد بذلك السلف الصالحون والإئمة المهديون طبقة بعد طبقة، وقرناً بعد قرن مجمعون على ذلك لا نعلم لهم مخالفاً في ذلك.

(فصل) قال الله تعالى {**واتقوا الله ويعلمكم الله**} وفي الحديث: **من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم**. ومر بعض الصالحين بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر، فقلبه، فإذت عليه مكتوب: أنت بما تعلم لا تعمل، فكيف تطلب علم مالم تعلم؟

(فصل) ائت الخير كله، فإن لم تقدر عليه كله فلا تتركه كله، واجتنب الشر كله، فإن لم تتركه كله فلا تأت به كله، واجتهد أن لا يمض عليك وقت إلا وهو معمور بعبادة، فإن لم تقدر على ذلك فاحذر أن تكون سبب ضياع وقت إنسان مشغول بالعبادة، وأحب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، وما تحب أن يأتيك الموت وأنت عليه فالزمه الآن، والذي تغبط عليه أهل القبور مما كانوا يعملونه فاعمله الآن فإنك صائر مثلهم، والذي ترى أن أهل القبور ندموا على فعله فاتركه قبل أن تندم فلا ينفعك الندم.

(فصل) تعرض لنفحات الله، ولا تيأس من روح الله، وكلف نفسك الحضور في كل عبادة فإن غلبك الوسواس فدافعه، وقل: لعلي أحضر فيما أتى، وكذلك تب من كل الذنوب، فإن غلبتك نفسك ووقعت بعد ذلك في بعضهن فتب فوراً، وقل: لعل آخر عود، ولا تترك المجاهدة وتستسلم للشيطان وغاية مطلبة: {**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**}[١٧٧].

(فصل) أكثر ما يدخل على الإنسان من الوسواس والخواطر والمعاصي من اللسان والعين والأذن، وإن كان تدخل عليه من غيرها، ولكن هذه ثلاثة ضررها كثير جداًن ولها دواء واحد حاسم لمادتها وهو الوحدة والخلوة والعزلة.

(فصل) يحتاج الإنسان إلى المخالطة لغيره إما لإصلاح دينه أو إصلاح معاشه، فليتقصر على مالابد له منه مثل تعلم العلم الواجب وتعليمه والحج والجمعة، وكذلك الجماعة

---

١٧٧ ( ) سورة آل عمران: ٢٠٠.

وفروض الكفايات والفضائل إذا سلمت من الآفات، وأما إصلاح معاشه فإذا أمكنه أن يكتفي بالغير فيه فو أولى وإلا فليباشره وليقتصر على مالا بد له منه مع التحفظ من آفاته.

(فصل) إن مما يفوت الأوقات ويكثر السيئات ويأتي بالمكثفات ويشوش القلوب ويوحشها ويظلمها ويقسيها هذه المجالس المشتملة على القيل والقال والخوض في الباطل والفضول ومالا يعني فالحذر منها الحذر والفرار منها الفرار والبعد منها البعد، وكيف لاتكون كذلك وهي لا تسلم من الغيبة والنميمة والاعتراض على القضاء والقدر وغير ذلك من المعاصي فشرها كثير كبير وإثمها عظيم، لأن فيا تبعات تعلق بالآدميين التوبة منها متعسرة أو متعذة فالحزم التباعد عنها بالمرة، وفقنا الله وغياكم لكل خير، وتاب علينا وعلى جميع المسلمين، وختم لنا ولهم بالحسنى آمين» اهـ (اليواقيت).

الوصية الثالثة:

من الحبيب الحجة شيخ الإسلام وإمام الأئمة الأعلام عبد الله بن علوي الحداد إلى تلميذه الشيخ الصوفي عبد الله بن عثمان العمودي:

وصيتي لك يا ذا الفضل والأدب

إن شئت أن تسكن السامي من الرتب

وتدرك السبق والغايات تبلغها

مهنئا بمنال القصد والأرب

تقوى الإله الذي تُرجى مراحمه

الواحد الأدح الكشاف للكرب

الزم فراضه واترك محارمه

واقطع لياليك والأيام في القرب

وأشعر القلب خوف لا يفارقه

من ربه معه مثل من الرغب

وزين القلب بالإخلاص مجتهداً

واعلم بأن الريا يلقيك في العطب

ونق جيبك من كل العيوب ولا

تدخل مداخل أهل الفسق والريب

واحفظ لسانك من طعن على أحد

من العباد ومن نقل ومن كذب

وكن وقوراً خشوعاً غير منهمك

في اللهو والضحك والأفراح واللعب

ونزه الصدر من غش ومن حسد

وجانب الكبر يا مسكين والعجب

وارض التواضع خلقاً إنه خلق الـ

أخيار فاقتد بهم تنجو من الوصب

واحذر وإياك من قول الجهول أنا

وأنت دوني في فضل وفي حسب

فقد تأخر أقوام وما قصدوا

نيل المكارم واستغنوا بكان أبي

وخالف النفس واستشعر عداوتها

وارفض هواها وما تختاره تصب

وإن دعتك إلى حظ بشهوتها

فاشرح لها غب ما فيه من التعب

وازهد بقلبك في الدار التي فتنت

طوائفاً فرأوها غاية الطلب

تنافسوها وأعطوها قوالبهم

مع القلب فيا الله من عجب

وهي التي صغرت قدراً وما وزنت

عند الإله جناحاً فالحريص غبي

وخذ بلاغك من دنياك واسع به

سعي المجد إلى مولاك واحتسب

واعلم بأن الذي يبتاع عاجله

بآجل من نعيم دائم يخب

وإن وجدت فواس المعوزين تفض

عليك من ربك الأرزاق فاستجب

وإن بليت بفقر فارض مكتفياً

بالله ربك وارج الفضل وارتقب

وإن تجردت فاعمل باليقين وبالـ

علم على إذا كان موقوفاً مع السبب

واتل القرآن بقلب حاضر وجل

على الدوام ولا تذهل ولا تغب

فإن فيه الهدى والعلم فيه معاً

والنور والفتح أعني الكشف للحجب

واذكر إلهك ذكراً لا تفارقه

فإنما الذكر كالسلطان في القرب

وقم إذا هجع النوام مجتهداً

وكن قواماً ولا تغفل عن الأدب

والوالدان لهم حق يقوم به

من يتق الله والمدلون بالنسب

والجار والصحب لا تنسى حقوقهم

واختر مصاحبة الأخيار وانتهب

وخالق الناس بالخلق الكريم ولا

تعتب على أحد منهم ولا تعب

وانصف ولا تنتصف منهم وناصحهم

وقم عليهم بحق الله وانتدب

واحذر مصاحبة الأشرار والحمقا

والحاسدين ومن يلوي على الشغب

وحالف الصبر واعلم أن أوله

مر وآخره كالشهد والضرب[١٧٨].

الوصية الرابعة:

من الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي رضي الله عنه إلى تلميذه ومريده أحمد بن علي بن عبد الله مكارم لما عزم على السفر من حضرموت قال فيها: « وبعد، فلما كانت الأرواح جندو مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، والتعارف والتناكر إنما هو كائن من الأخذ بالعهد يوم ألست بربكم كان من ائتلفت روحي بروحه في ذلك اليوم وتعارف سري بسره من أولئك القوم المحب الصادق والأخب الماوفق من اخلتف سري بسره فكان سراً وحق لكل منا أن ينشد شعراً:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

المحب المبارك إن شاء الله أحمد بن علي بن عبد الله مكارم أجزل الله له المواهب والمكارم وأوصله إلى تلك المواطن والمعالم.

---

١٧٨ ( ) الديوان: ٣١-٣٣، وبقيت من الأبيات ختام القصيدة.

ثم إنه في بعض الأوقات عزم على السفر ليدخل في ميادين الفكر ويعتبر بما يرى من العبر من صنع الله الملك البر وليكون من أهل العمل بما ورد عن الحبيب المصطفى « **سافروا تصحوا سافروا ترزقوا**» ، فالحديث بمقتضاه وظاهر بمعنها يومئ إلى أن حبالة الأرزاق الحسية والمعنوية هو السفر فلهذا تاجر في هذا المتجر كل بر وتنافس على ذلك كل عبر أغر، وفي الحقيقة أن السفر من حضيض الطباع السفلية إلى أوج المعالي العلوية والمقاعد العندية والمحاضر الأنسية في المراتب القدسية هو المراد من قول الصادق الأمين والمطلوب عند العلماء العارفين إذ هو الذي يجلب الأرزاق المعنوية والمواهب اللدنية وبه تقع الصحة من ألم الأعيار ويحصل الشفا من مرض الركون إلى هذه الدار.

ثم إنه لما عزم على السفر الميمون طلب من الفقير الإيصاء المسنون عند حملة الشرع المصون وأكثر علي الإلحاح في طلب ذلك ولم يجعل لي عذراً فصرت أقدم رجلاً وأؤخر اخرى لما أعلمه من نفسي منا لعصيات وإني لست من فرسان هذا الميدان ولا ممن يحكم السير مع أولئك الركبان لكوين أسيراً لنفسي الأمارة وقبيح بمن بيته مخرب أن يشتغل لغيره بالعمارة، ولكن لما أكثر علي الطلب لم يمكنني إلا مساعدته على ما طلب وذلك لما له عندي من كامل المحبة وعظيم الألفة والصحبة فأقول وأبرأ إلى الله من القول والحول:

أول ما أوصي به أخي وولي تقويا لله التي حاصلها هو امتثال الأوامر واجتناب الزواجر، فاشدد عرى حبلك بها فإنها أول ما تواصى بها المقربون وتداولها الناجون وتحل بحليتها والبس لخلعتها فهي الحجة الواضحة والطريق السالمةن وبها تنال المنازل العلية والرتب العلوية والحث عليها في القرآن كثير، وأمرها من الدين خطير، واوصيه أيضاً بحفظ سره مع الله بأن لا يكون له شغل إلا هو، ولا مطلب في الوجود كله إلا النظر إليه، وإن غلبت عليك حدة خمر الطبع فاكسرها بزاج الرياضة واشدد إزار عقلك بحبال التقوى وقوي عرى عزمك بمجانبة الهواء وكن حليف الفكر لزيم الذكر دائم المراقبة شديد المحاسبة، واهتد في سيرك كله بأنجم الشريعة ولا تجعل لك دون الحق ذريعة، ودم على المجاهدة تحظ بالمساعدة وتأن في جميع الأمور وسلم للمقدور وتلمح الزمان وسامح الإخوان وارحل من أرض

التسويف إلى ساحل العزيمة واركب في سفينة الاجتهاد واجعل ربانها وقابض سكانها الحبيب الأعظم والرسول الأفخم فاجعله مقتداك في جميع قضاياك وصيرة سراجك الذي تهتدي به في الظلمات، وحصنك الذي تلتجئ إليه في جميع المهمات فلا خاب من جعله قبلته ووجه إليه وجهته.

وإياك والجلوس في بقاع البطالة والدخول في مداخل الجهالة فالخير كل الخير إدمان السير وعدم النظر إلى الغير فيه تنال السيادة وتحصل الحسنى وزيادة فأذق نفسك مرارة الصبر على مشاق الاجتهاد وروضها بالتصبر على كل معتاد وإياك والدخول في جميع أنواع الفضول في جميع ما تفعل وتقول فعاقبة الفضول إلى الندامة وعاقبة عدمه إلى السلامة فاجعل شغلك نفسك عن جميع الناس وهمك قلبك كيلا يدخل الخناس، فتفاوت الرتب على قد تفاوت صلاح القلوب، فالهتمام بصلاحها شان العارفين من أهل الله والاغتمام بشأنها دأب الصالحين من أولياء الله فكن ممن اهتم بشأنها ودأب في تحصيل إحسانها وإعراضها على طبيب ماهر يعرف ما بها من الخواطر ويعرفك علاجها وأخلاطها وأمشاجها فانهض في طلب ذلك الطبيب وكن لداعيه مجيب واصدق في طلبه مدى الأزمان فما أرى أعظم من هذا الشأن على الإنسان، وإن وفقك الله وظفرت به فاذكرني عنده وادعني عبده عسى أن يداوي ما بي ويفتح قفل بابي ويخرج غشي ويملأ عشي فإني والله حائر في هذا الواد تائه في مفاوز هذا الناد، فاهتم بأخيك وأبيك وإياك والانقياد بزمام الهوى والتلفت إلى زهرة السوى فاحذر ذلك فإنه قيل الهوى كاسمه يهوي بصاحبه في مهاوي الغفلة ويرمي بحامله في مفاوز الخجلة، فكن عبد ملواك لا عبد هواك، وعبد ربك لا عبد نفسك، وتخلص من رق الأغيار وكن ما شاءه الغفار، طارحاً للاختيار، ملازماً للانكسار، واقفاً على وصيد الأسف على ما سلف، قارعاً سن الندامة على ما اقترفت معترفاً بعظم جرم ما أذنب، فلا مقام أعلى من الاعتراف، ولا حال أصفى من الإنصاف، ولا شرف أعظم من الاتصاف بمحاسن الأوصاف، ولا يرى إلا من الماء الصاف، فاستصف المشرب وكن أميل إلى الأعذب وتوق الخمج فمآله إلى حرج واتعض بغيرك وجد في سيرك وجد بصارم العزم

قواطع الوصول إلى مواضع القبول حيث الحبيب نازل والسرور حاصل ودائر الكأس دائر وقمري الهجر طائر والمحبوب هو الساقي والمجالس هو المرقي والراقي، فهناك تقسيم العطايا، وتفرقها لهدايا، جعلنا الله ممن قعد في ذلك المقعد وشهد ذلك المشهد وشرب من ذلك الشراب، ولم يغتر بملامع السراب عند الوصول إلى ذلك الجناب والوقوف بتلك الأعتاب والتلذذ بسماع ذلك الخطاب فادأب أيها المحب في طلب هذا الكنز الأكبر والكيمياء الأشهر فعلى قدر الاجتهاد يكونا لعطاء وعلى قدر الدنو يكون كشف الغطاء فاصعد وارق وواصل العشاء بالشرق وزاحم أرباب هذا الحال بالركب وكن ممن إليهم قرب ولهم أحب واتخذ لك جليساً منهم مخبراً عنهم يذكرك أحوالهم ويشنف سمعك من أقوالهم ويريحك بذكر أفعالهم فهم الذين هدوا وعلى منصة الولاية قعدوا أولئك قوم قد هدى الله فاقتد بهم واستقم والزم ولا تلتفت هذا واجعل لك كل يوم وارد من القرآن تتفكر فيه أتم الفكر وتعثره من معانيه على الدرر فإنه البحر الغطمطم والسر المعظم فاستخرج من كنوزه واحل لرموزخ، واستحضر عظمة ملقيه وتأدب بالآداب التي في، وتوق اللحن المخل بالمعاني واقتطف من أشجاره التي ثمرها داني فإنك إن زجت بك سفينتك في هذا البحر ظفرت، واسترحت مما فيه كنت، وأتتك رياح المسرة من كرام السرة بعبير التقديس وشذا عرفه النفيس وواجهتك لطائف العناية بكمال الاجتباء مصحوباً بالرعاية وعلمت مالم تعلم وفهمت مالم تكن تفهم وحصلت على المطلوب وظفرت بالمرغوب والمحبوب ووجدت من لطائف الأنس وطريق القدس ما لا تفي به العبارة وتقصر دونه الإشارة فالله الله يا أخي في تكراره والتوغل في بحور أسراره، والحذر الحذر من إهماله والعجلة في أقواله.

هذا واجعل لك ورداً من القراءة في كتب القوم فأحسن فيها العوم واتخذها جليسك واجعلها أنيسك في إبكارك وآصالك وديدنك في جميع أحوالك وكلف نفسك العمل بها فيها وترك ما ينافيها واركب صعابها واطلع عقابها وروضها في ذلك الميدان وإذا جمحت بك فاقبض العنان واحذر أن تعثر بك في مهاويها وتدخل بك في أحجار أفاعيها فإنها أعظم الأعداء ودواؤها أشد من الدا فهي دجال كل إنسان ورأس كل افتتان فاحذرها أشد الحذر

وخالفها أعظم المخالفة فلقد اودت بأخيك وأتعبته وهيمته في فيافي الغواية وضيعته فأسعفني بدعوة يكون لي بها عليها أتم سطوة فلا دعاء أنفع من دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب بلا شك ولا ريب فأكثر من ذلك والله يتولاك ويرحمك ويرعاك فإن الملك يقول ولك مثله، ومولاك لا يحصى فضله والله الله في حسن الخلق فحسن الخلق من الصفات المستحسنة والأفعال الحسنة وبه ينال العبد منازل الصديقين ويرقى إلى أوج معالي اليقين فكن ألين الناس جنباً وأحلمهم، تفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتقابل ذا الإسارة منهم بالإحسان وتغفر الذنب له ولو عظم وتتعطف على فقرائهم وضعفائهم وتجالس المساكين وتحضر جميع محاضرهم من غير أن ترى لك عليهم رفعة بل ترى أنك احقرهم وتفلي ثيابك إن وجدت بها قملاً وتأكل مهم في أي مكان كانوا فهم محل نظر الله في خلقه وواسطة إنزاله رحمته، وهم جلساء الله يومئذٍ فادخل مداخلهم تكن منهم وتحشر معهم وكفاهم فخراً قول الصادق المين: « **اللهم احيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرتهم** »[179] تعرف عظم قدر منزلتهم وشأو رفعتهم والله الله في الورع فإنه أساس هذا الدين وعمدة القاصدين فكم رفع الورع من وضيع وكم وضع الطمع من رفيع ولكل مقام ورع فغايته ورع العارفين وهو أن لا يروا سوى الله في جميع لحظاتهم وحركاتهم والتفاتهم إليا لسوى لحظة واحدة خروج عن دائرة الورع فخذ بالعزم في جميع الخصال وارق إلى أوج المعال، ولا تهمل الورع في الماعش وفتش فيه أتم الفتاش واستفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك، واترك ماليس فيه بأس مخافة أن تدخل فيما فيه بأس، فمدار صلاح القلوب على صلاح المطعم فأطب مطعمك يصف قلبك وتغشاه الأنوار وتخرج منه الأسرار، والله الله في إصلاح النية فصلاحها أساس الأعمال فاجعل لك في كل عمل تعمله وفعل تفعله وقول تقوله نية صالحة فتفاوت الأعمال في القبول على قدر تفاوت النيات، فكم بالنية حصلت من مراتب عظيمة ومواهب فخيمة والأحاديث فيها مشهورة وفي الكتب مسطورة.

---

[179] ( ) رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وقال: « حديث صحيح ».

هذا والله الله في طلب علم الديان لا سيما علم الفقه وآلته فادأب في طلبه فلا باطن إلا بظاهر فحقق لك كتابين جامعين في الفقه لتكون على بصيرة في أمر دينك واحرص على تعليم الجاهلين ما امكن بقد ما معك من العلم فلن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم وكم ورد في التعلم والتعليم من حديث قويم فاجتهد في ذلك ولا تهمله ففي الإهمال غايتا لحرمان ونهايتا لخسران وكم في التسويف من تسويف وانحطاط عن دائرتا لتشريف فانهض في ذلك نهضة عجل مما وراه وجل، ولا تترك ذلك استغناء عنه بما تسول لك النفس الأمارة، فلو لم يكن في ذلك إلا قايم الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم به مدة عمره وتحيرضه عليه فكان كافياً مع ما ترتب عليه من صلاح الدنيا والآخرة.

وأما علم الباطن فهو منح وهبات ليس بكسب ولا تعب وإنما هو فيض بحر الجود بفيضه على من يشاء من شعوب {**وعلمناه من لدنا علماً**}[١٨٠] في مجاري {**يختص برحمته من يشاء**}[١٨١] وحباله حصوله الاشتغال بصلاح القلوب ومداواة جراحها ومجاهدة النفوس وإذاقتها مرار المجاهدة بصوم النهار وقيام الليل مع طرح الرياسات والانخلاع عن الرعونات فاطلب العلمين والبس حلة الشرفن تكن فايزاً بسعادة الدارين إن شاء الله تعالى.

هذا والله الله في مواساة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففيها غاية الفوز والسعادة وبها ينال أعلى مقامات السيادة إذ المواساة مواساة لهم لجدهم الأعظم والمواساة له صلى الله عليه وآله وسلم لا يحصر فضلها قلم، ولا يحصى قدرها فم، فكن ممن أحبهم وواساهم واهتدى بهداهم وأحبهم أشد المحبة وقدمهم على القريب من الأحبة وإن رأيت منهم ما يوجب سوء الظن فاحمله على المحمل الحسن والحذر من الوقيعة في أعراضهم فإن ذلك من السموم القاتلة إذ المعاداة لهم معاداة للرسول ومعاداتا لرسول معاداة للبر الوصول، فاحذر ذلك فإنه من المهالك واحرص على مواساتهم ما أمكنك والله يتولى هداك

---

[١٨٠] ( ) سورة الكهف: ٦٥.

[١٨١] ( ) سورة البقرة: ١٠٥

وهو يتولى الصالحين، والله الله في حسن الظن بالله وبجميع المسلمين، ففيها كل غنيمة وتنال بها كل درجة عظيمة ومنزلة فخيمة، فكن يا أخي حسن الظن بربك وتحقق صدق وعده واستشعر سعة رحمته ولو لم يكن إلا قوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه: « **أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء** » لكان كافياً، وبالمطلوب وافياً فظن بربك ما تظن فعلى قدر ظنك به تكن منزلتك عنده فمعنى الحديث واسع يعم القريب والشاسع فلو ظننت به أنه يعطيك ما أعطى أكبر أوليائه لكان الأمر كما تظن وحاشاه أن يمنعك شيئاً قد ضمنه لك فاجزل يا أخي حسن الظن بربك، ولا يبعدك عظم جرم ذنبك فالذنب في سعة رحمته متلاشية والأعمال في جنب فضله كالعدم وأما حسن الظن بالمسلمين فهو من صفا المؤمنين وورد فيه أحاديث كثيرة مناه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخلصتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله** » وكفى بهذا الحديث دليلاً على شرف حسن الظن وعلى خسة سوئه فالزم خير الأمرين واترك شرهما وغن رأيتما يوجبه لك فاحمله على المحمل الحسن فلا شيء أنفع من ذلك وبه تقع السلامة من الوقوع في أعراضهم فهو الإكسير وشأنه كبير فاحرض عليه ولازم ولو رأيت ما رأيت وكلفه نفسك أول الأمر تطبعاً حتى يصير طبعاً وعادة وإذا آخيت أحداً من المسلمين فأد حقوق الأخوة على الكمال ولا تطلب حقوقاً عليه وحقوقها مذكورة في المطولات فاستخرجها منها والزم نفسك العمل بما فيها.

وكذلك حقوق الجوار كلف نفسك العمل بها فلو لم يكن فيها إلا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** »[182] لكان كافياً في الحث عليها، وعظم حقها، فبادر إلى هذه الفضائل ودع إهمالها تكن من المؤمنين حقاً وإياك والركون إلى متاع هذه الدار والتفت إلى زهرة هذه الأغيار فإن ذلك من القواطع الكبيرة والأمر الخطيرة فكن زاهداً في ذلك راغباً فيا هنالك غير واقف مع شيء من حظوظها

---

[182] ( ) متفق عليه.

وشهواتها جاعلاً لا وراء ظهر غير ناظر إلى شيء من رونقها إذ النظر إليها من أعظم الحجب المانعة عن الوصلو إلى تلك الرتب فاصلت يا أخي من غمد سجيتك مرهفاً تقصم به عروف محبها من أرض الطبعن وابذر في تلك الأرض اشجار الزهد فيها حتى تثمر لك القرب من ربة الخال، والرشف من ثغر الوصال، والعثور على نهاية الآمال، والدخول في حضرة التقريب، والري من سلاف عتقها الحبيب والسكر من الراح، والجلوسف ي مقعد الفلاح حيث النس مطنب خيامه والسرور دائمة أيامه والسلوان يتبختر في حلله وغصن الفرح يتمايل من كثرة طلله ونثار الرضا ينثر وعبير العطاء ينشر وسحاب الفضل يمطر وإنسا ن الجود في حلل الوهب يخطر والمحبوب قد تجلى والمحب قد تملى إي وربي إن ذلك لمقام يجل عن أن يصفه الواصفون محل يقصر عن إدراكه المدركون ولعمري لا مهد له إلا الصيام عن السوى وذبح النفس والهوى عل عتبة الدار والانكسار في صحن العبودية والافتقار.

والله الله في نوافل العبادات حافظ عليها أتم المحافظة ولازمها أتم الملازمة لاسيما الرواتب فالحذر فالحذر من ترك ذلك واحيي ليلك بالقيام ونهارك بالصيام واكثر من النافل غاية الإكثار فهي شبكة المحبة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي: « **لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه** »[183] والمحبة تفيد الخلافة العظمى التي تقتضي اختلاف الأوصاف بالأوصاف كما يفيده قوله صلى الله عليه وآله وسلم آخر الحديث القدسي هذا: « **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصره به،...**» إلى آخر الحديث، فاكرع من منهلها الصافي والبس ثوب سترها الضافي وكن ممن نافس عليها حتى تحوز ذلك المقام وترشف من ذلك المدام وجاهد نفسك على دفع الدواخل التي تأتي فيها، والشوائب التي تمنعها الدخول في صحائف القبول وسر إلى مولاك على بساط العرج والذل والانكسار وعدم رؤية الأعمال وتخلص من رق تلك الشوائب والدواخل التي تأتي فيها،

---

١٨٣ ( ) رواه البخاري.

والشوائب التي تمنعها الدخول في صحائف القبول، وسر إلى ملواك على بساط العرج والذل والانكسار وعدم رؤية الأعمال وتلخص من رق تلك الشاوئب والدواخل قائلاً بلسانك وجنانك ما أنا وما عملي ومن دخل حضرة: {**إن هو إلا عبد أنعمنا عليه**} سلم من تلك الدواخل، واستراح من تلك الدواعي، وعلم أنه لولا سوابغ الكرم والجود، لما وقع لذي الشهود شهود ولا ظفر أحد بمقصود، والأعمال إنما هي لإظهار العبودية وأما العطايا والمواهب إنما هي محض فضل وجود فاشهد التقصير ولا ظفر أحد بمقصود، والأعمال إنما هي لإظهار العبودية، وأما العطايا والمواهب إنما هي محض فضل وجود فاشهد التقصير با محبي في أعلى أحوالك والزم الاعتراف وكن عبداً لله لا للحظوظ وأكثر من الأوراد القرآنية اولسلفية اولقلبية فعلى قدر الأوراد تكون الواردات وقد أجزتك في جميع ما أجازني فيه مشايخي من الأوراد وغيرها وفي التعلم والتعليم على حسب طاقتك وقد اجزتك في ذكر أجازني فيه بعض مشايخي لإزالة الأدواء القلبية، وجميع المهمات وهو أن تأتي به كل يوم عشر مرات والأكمل مائة: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول لا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه، واظب على ذلك حسب طاقتك.

هذا واجعل ذكر الموت منك على باب في كل حال، وتوقع هجومه في كل وقت، واستشعر الأهوال الكائنة بعده ليزداد خوفك ويعظم جدك، وامتط قارب الاستعداد ليوم المعاد بالزاد الذي ينفعك حين تقوم الأشهاد ويؤنسك في الإلحاد، اولسفر بعيد يفني الجليد ويصير النبيه بليد، كلا إنه لخطب مزعج وأمر مفجع يجعل اللبيب حيران، ويذوق الحميم أهل الخسران، جعلنا الله من الموقنين من تلك الأهوال والفائزين بالرتب العوال، إنه الجواد الكريم والرؤوف الرحيم، هذا غاية ما أوصيك وأسأل الله الكريم أن يهديني وينجيني من مهاوي الغواية وينجيك، فخذ هذه الوصية بقوة وأمر أهلك يأخذوا بأحسنها فإنها من فتح

الوهاب على عبده فاجهد نفسك على العمل بها ما أمكن والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين »[١٨٤] اهـ.

والوصايا السلفية من هذا اللون للسادة العلوية كثيرة وشهيرة وهي في كتبهم ومؤلفاتهم ومنها ما لم يكن في كتاب وإنما في حوزة بعض الأحباب يتخذون منها وسيلة لإحياء القلوب إذا غمرها ران الحياة وصابوناً لأدران الذنوب إذا اكثقت المرآة فيجدون أنفسهم بها على حال طيب من النشاط والهمة.

ومن هذه الوصايا ما هو منثور ومنها ما هو منظوم ومنها ما هو للخصوص ومنها ما هو للعموم، والخصوص هم أهل العزائم الأفراد والعموم هم السالكون على أداء الواجب المتدرجون في مراقي الإسعاد وقد وقفت على ثكير من هذه الوصايا الغالية وودت أن أذكرها لترفع أهل الهمم العالية وتساعدهم على التحرر من أسر المحيط المريض إلى العالم الواسع العريض، ولكن القليل المجدي خير من الكثير المردي، فالزمان زمان اختصار وعصر قلق وانكسار، ومن رأى في محتوى هذه الوصايا المثبتة وعرف المقصود فقد ضمنا لنجاة يوم الورود ودخل في حزب النبي المحمود صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن وصايا هذا العصر التي كتبها شيوخنا المعاصرون الذين آلت إليه خلافة القوم في تركة الطريق العلوي وقاموا من خلال ما أثبتوه فيها من التوجيهات والإرشادات بإحياء سنن القوم الصدور وإنماء الروح السلفي القويم الذي أنبت النبات الحسن وربى الذريات الصالحة والدعاة والأئمة والقضاة والأولياء والأبدال والأوتاد والأقطاب نختار النماذج الحسنة، فمن هذه الوصايا الحديثة وصية الحبيب أبي بكر العطاس بن عبد الله الحبشي التي سماها الـ(التذكير المصطفى بأولاد المصطفى) وقد ضمنها جليل الآداب وخلاصة الطريق

---

١٨٤ ( ) من كتاب: الوصايا: ٢٢٢-٢٢٧.

المبارك وقد جمعها في كتيب متفرد لا يتسع له المجال في هذا المختصر نهيب بالمريد أن يطلع عليها(١٨٥).

ووصية أخرى مختم بهذا هذا الباب كتبها سيدي الفقيه خليفة الأسلافه وشيخ المتأخرين من السادة الأشراف حبيبنا عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمنا لسقاف، أمتع الله به إليا سيد المنيب سالم بن عبد الله الحامد العلوي، قال فيها: « بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمد معترف بذنبه، خائف من ربه، وأسأله أن يصلي ويسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد: فإن السيد الشريف اولعلم المنيف السالك طريقه أهله والراغب في السر وأهله سالم بن عبد الله بن محمد بن علوي الحامد العلوي حضر معنا وسمع منا واتصلت مقروآته بمقروآتنا وكان له بنا وثيق اتصال بشيوخنا الأبطال، وقد طلب منا الإجازة والوصية للدخول في دائرة أهل المعية خصوصاً شيوخنا أرباب المزية والدخول في الحظائر القدسية واللطيف العلوية ظناً منه أنا من أهلها، وأن لنا صلة بها والله يعلم أننا عريون عنها خليون منها ولكن لحسن ظنه ورغبته في طريق أهله أسعفته بطلبه عسى أن ينالني من صدق نيته نصيب فأكون بواسطته قريب من أهل التقريب مع كل قريب.

فأقول: أوصي نفسي وأخي بتقوى الله، فإنها الطريق الموصل إلى رضاء الله، والوسيلة التي يدرك به العبد مناه في دنياه وأخراه، فما فاز من فاز، ولا وصل من وصل إلا بالتقوى وقد حث القرآن عليها وأوصى بها، وأمر بها في مواطن متعددة من فقال: « **يا أيها الناس اتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجلاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً**}(١٨٦)، وقوله تعالى: {**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله...**}(١٨٧) وقال: {**يا أيها الذين آمنوا اتقوا**

١٨٥ ( ) وسنختتم الجمع بنبذة صالحة منها إن شاء الله.

١٨٦ ( ) سورة النساء: ١.

١٨٧ ( ) سورةا لحشر: ١٨.

الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}[188] وقال: {**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياك أن اتقو الله}**[189] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وقد فسرها العلماء رحمهم الله تعالى بأنها امتثال الأوامر واجتناب المناهي وللعمل بها أنوار ولها على أهلها شعار يظهر عليهم نوره في سائر الأطوار على حسب ما عندهم وعلى قدر ما لديهم وفي نتاجها صفار السريرة ومراعاة السر في النجوى والسريرة ومراعاة الخواطر الصغيرة والكبيرة وأهلها فيها يتفاوتون، وفي مسالكها سالكون حتى يصلوا بها إليا لغايات ولا لها غايات ولا نهايات وإنما هي إفاضات وخلع ربانيات ومواهب رحمانيات يتلقاها القلب على قدر مأخذه واستعداده لمواهبه في عوالم واسعة ومناهج متفرعة وما أوسع هذه العوالم وما أعظمها من معالم لا يهتيد الفكر إليها ولا يصل النظر إلى مراحلها ولا يدري الناس عن أهلاه جعلها المولى منازل السائرين ومراحل لهل اليقين يكون أحدهم مع الناس بجسمه ومع الله في هذه المراحل بقلبه، ولذلك قال الشيخ العيدروس:

كم شخص تنظره حاضر

وروحه في العلا تجول

وقال بامخرمة:

من ها هنا نلت المنى

مجرد كن بين الورى مهنا

يا من يريد الغنى

سافر معي نحو الجناب الأعلى

---

[188] ( ) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

[189] ( ) سورة الحشر: ١٨.

فاحرص يا أخي على أن يكون لك وصول إلى هذه العوالم ترى فيها عظيم صنع الله وتشاهد فيها غرائب آيات الله ويفتح لك بها فهم في كتاب الله وذلك بطهارة الباطن والظاهر وحفظ الجوارح عن اقتحام الجرائر فكم باعدت المعصية بين العبد وربه وأنزلته من أعلى عليين إلى جند الشيطان وحزبه وكم يجد الشيطان من مداخل يدخل بها على أهل الغفلة فإن أعضاء الإنسان من عينه وأذنه ولسانه وبطنه ويده ورجله إذا لم ينتبه لها ولم يحفظها من الشيطان استعملتها في خدمته فأرسل لسانه في الغيبة والكلام عليا لناس ومثله سائر الأعضاء، وإن انتبه لها وحرص عليها ورتب لها وظائف الخدمة حفظها الله من الشيطان، ولم يجعل له عليها سلطاناً كما قال تعالى {**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**}[190] فاجتهد كل الاجتهاد على أ، لا تقربك وسوسة الشيطان، واستغن بالله منه واستعذ بالله يعذك من غروره ومكره، وارجع إلى أوامر القرآن فحافظ على ما أوصاك به في القيام بحق الوالدين وحق الرحم وحق الزوجة وحق الأولاد من القيام بهم وحسن تربيتهم ومراعاتهم تفقد الجار فغن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » والقيام بحق أهل لا إله إلا الله كلهم ومن القيام بحقهم إماطة الأذى عن الطريق وعدم انتهاك حرمة أحد منهم، ومنها المحافظة على الصلاة فإن فيها من حقوقهم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فمن أهمل الصلاة فقط ظلم أهل لا إله إلا الله أجمعين فاحذر من التقصير فيها وقم بها وقم براتبها وأذكارها فإن لك وظيفة من وظائفها سراً خاصاً ومدداً خاص وصلة بالمولى خاصة وفوق هذا وذاك عطاء الرضا والمحبة والاصطفاء {**كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك**}[191] فمن أرضاه مولاه بالخدمة وتقرب إليه بامتثال الأمر وعرف أنه عبد وظيفته الامتثال والوقوف تحت الباب خلع عليه من خلع المحبة ولوازم القربة ما يجعله قريباً من الملك يرف مراده وقصده فيتصرف في مملكته وفق إرادته بشاهد: «

---

١٩٠ ( ) سورة الحجر: ٤٢.

١٩١ ( ) سورة الإسراء: ٢٠.

ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصره به، ويده التي يبطش بها » إلى آخر الحديث القدسي، جيث يقول: « **وإن سألني أعطيته، وإن استعاذني أعذته** » فاستكثر في أعمال البر واستكثر معها من النيات الصالحات فإن للنية الصالحة أثراً في تسيير أعمال البر والمولى سبحانه وتعالى يكتب لعبده ثواب ما نوى، وقد ذكروا أن واحداً من بني إسرائيل مر على كثيب من رمل فقال: « لو كان مثل هذا الكثيب منا لدقيق لتصدقت به، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان إن الله قبل منك صدقتك، فقال له: ما تصدقت، قال: أولست قلت في نفسك: لو كان لي مثل هذا الكثيب من الدقيق لتصدقت به؟ قال: نعم. قال: فإن الله أثابك على هذه النية فكتب لك ثواب مثل الكثيب من الدقيق ».

هذا وأستنزل دائماً رحمات ربك بدعائك مع ذُلِّكَ وضعفك وانكسارك وفقرك، فإنه لا شيء أدعى إلى الرحمة من استنزالها بالضعف فإن الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الأم بولدها، ومن طرق استدعاء الرحمة الصدق في المعاملة والخوف منه والقيام بالخشية فيما طلب منك فإنا لعبد شأنه الضعف وشأنه الصدق مع سيده وشأنه التواضع فاصدق ما أمكنك فإن الله يحب الصادقين، وقد أمرنا بذلك في قوله تعالى {**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**}[192] وأثنى على الصحابة بالصدق فقال: {**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**}[193] ووأكرم بأناس أثنى الله عليهم وشهد لهم وكفاهم شرفاً وفخراً.

وأوصيك بالمراقبة لمولاك فإنه سبحانه وتعالى مطلع على حركاتك وسكناتك كلها فاعبده عبادة عارة متحقق أنه يراك حتى لا تبدر منك بادرة فيما لا يرضاه، واخلص له الصدق وجرد له النية، قال بامحرمة:

وابق واحد لواحد

---

[192] ( ) سورة التوبة: ١١٩.

[193] ( ) سورة الأحزاب: ٢٣.

والق دورك بلاقع

واخل لي يا مخلي

كل دان وشاسع

وانخلع عن خلاف

أهل العلل والطبائع

ثم اعلم أنك مخاطب ومطالب بأمور فيما بينك وبين ربك وفيما بينك وبين خلقه وكلها مما يجب الوفاء والقيام بها حسب الاستطاعة، ولا يكمل العبد إلا إ ذا أدى ما عليه ولا يتيسر لك إلا بأمرين:

الأول طلب المعونة من الله على ذلك.

والثاني ترتيب أوقاتك، فإذا رتبتها سهل عليك القيام بالوظائف، فاعط كل ذي حق حقه، ورع حق أهل لا إله إلا الله بحضور جنائزهم وعيادة مرضاه وتفقد المنقطعين منهم وعاملهم بأحسن ما تحب أن يعاملوك به فإن الرحمة من الرحمن، والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السمءا.

هذا واجعل لك ورداً من الأوراد تحرسك وتنور باطنك وورد من الأذكار توصلك بالمذكور وتجعلك عنده مذكوراً وفي العالم العلوي مشهوراً، وفي أورد سادتنا العلويين الكفاية مثل أوراد سيدنا الإمام الحداد وجدك سيدي الشيخ أبي بكر بن سالم خصوصاً الورد الصغير وورد افمام النووي وراتب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وبعد العصر كان السلف الصالح من أهلنا يقرؤون كل ليلة بعد العصر حزب البحر للشيخ أبي السن الشاذلي، فلا تترك قراءتها[١٩٤].

---

١٩٤ ( ) يقرأ السلف أيضاً بعد صلاة العصر سورة الواقعة والدعاء المأثور المثبت في المسلك القريب.

هذا واجعل لك ورداً من قراءة القرآن لازمه ملازمة تامة واحضر مع قراءتك حتى تستخرج من درر معانيه ما يفتح الله به على أهليه فهو البحر الذي لا ساحل له فالله الله في تدبره وتأمله واسأل مولاك أن يفتح عليك فيه.

وما طلبت من الإجازة فيما كان عليه أهلك ورتباطك بهم في فعلك وقولك أجزتي فيما اجازني أشياخي ورجالي الذين عليهم اعتمادي في جميع أحوالي وأولهم في الفضل عليَّ سيدي وشيخي وسندي الذي فتح لهاتي وثقف قناتي وكان من كبار حماتي وأرجو أن أنتفع به في مماتي كما انتفعت به في حياتي الوالد الإمام الذي جمع الله له وفيه خلافة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عمر السقاف، فإنه رحمه الله اعنى بي عناية تامة ظهرت علي بركتها في الأمور الخاصة والعامة، فقد أجازني وألبسني وألقمني وأنابني وبواسطته اتصلت بشيوخ عصريوأئمة دهري ممن أغنوا فقري وجبروا كسري وكشف الله بهم ضري منهم سيدي الوالد الإمام عمر بن حامد بن عمر السقاف، والحبيب عمر بن عبد القادر بن أحمد السقاف، والحبيب حسن بن عبدا لرحمن بن محمد السقاف، والحبيب عبد الله بن عمر الشاطري، والحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب الدين، والحبيب حسن بن إسماعيل بن الشيخ أبو بكر بن سالم، والحبيب حامد بن علوي البار، وغيرهم الكثير من شيوخ العصر وأئمة الدهر جازاهم الله عني خير الجزاء، وأمدني من إمداداتهم في الدنيا والآخرة، وبإجازاتهم أجزتك في جميع ما أجازوني في مقروآتهم ومروياتهم وفي سائر أعاملهم، وأسأل الله أن ينفعني وإياك بهم في الدنيا والآخرة، والسلام.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير: عبد القادر بن أحمد السقاف.

في جدة ٢١ جماد ألو سنة ١٤٠١هـ.

قطعت جهينة قول كل خطيب:

بهذه الوصايا السلفية المتصلة بالمثال الأعلى أباً عن جد إلى الدوحة المصطفوية الشماء نختم جمعنا هذا الذي قصدنا به التعرف والتعريف على كل شيء يسير من بحر غزير لنستفيد

ونفيد ونحيي بأقلامنا وقلوبنا وأعمالنا ولو نسبة من ماضيهم السعيد، والله يشهد أن حالنا بالنسبة لهم ولما كانوا عليه لا يساوي من الذرة أقل منها، ولكن نتأسى ونتشبه وقد قال الشاعر:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا

إن التشبه بالكرام فلاح

وقد رغبت أن أتشبه فكتبت ما كتبت وجمعت ما جمعت وإنها هدية مب ضرب الأبعاد وكلف الذات طلب المراد، عكف على أصناف الأحوال اختياراً ودراسة واطلاعاً، فخرج من بين الركام القديم والحديث بالمقولة الشعرية:

وكل خير في أتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

والحمد لله حق الحمد إذ الآثار المرضية لا زالت خضراء ندية، تدعو أهل القلوب العلية إليا لتأسي بهذه الفرقة الرضية من سادتنا العلوية خيرة السلالات الأرضية، والشأن كل الشأن في الوعي الكامل المتجرد عن شوائب الدنيا والطموحات الذاتية لأن تلك الأماني حجاب عن معرفة المفهوم العيني من الخطاب بل ربما صار الأمر إلى العكس، ونفر وعبس وبسر وغضب واستكبر وقال بفصيح مقاله وحاله أما آن لهذه الأفكار أن تموت أو تؤد؟ ماذا يريد السلف وأتباعهم من عصرنا وطموحنا؟ إنهم يتحدثون بلغة قد ماتت حروفها منذ زمان بعيد.

ويعلم الله أن لغة القرآن قولاً وعملاً شكلاً ومضموناً لن تموت حتى قيام الساعة، ولكن غشاء الأخذ والعطاء الضارب على قلوب المتخلفين عن ركب السادة المفلحين يمنعهم النور من اللوح إلى بواطنهم، فيذوب نشاطهم ووقتهم وفكرهم ومجموع ما لديهم في مراقبة ما حولهم وخدمة وسائط مأكلهم ومشربهم ومطمحهم ويظنون أنهم بخير، وبعض الظن إثم.

والغرابة كل الغرابة في حديث هؤلاء أنهم يتحدثون من منطق الاحتكار للحياة والعلم والمتعة، ولوجود الإنسان وهم لا يعلمون أن الحروف التي ظنوها قد ماتت منذ زمن بعيد هي حروف محفورة في قلوب رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، شاهدها قوله تعالى: {**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون* إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين**}.

والصالحون العابدون لا زالت أنفاسهم طرية ندية يمنعون عن الأمة الغافلة بلاء ومحناً لا يعلمها كثير من الناس، والناس في خير ما دام الصالحون العابدون الوارثون لأرض الشريعة والطريقة والحقيقة في مجتمعاتنا فهم الذين يقول المصطفى فيهم: « **لولا شباب خشع، وشيوخ ركع، وصبية رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صباً** » اهـ.

نعوذ بالله من عذابه وشر غضبه.

قال سيدي الحبيب البركة أبو بكر بن عبد الله الحبشي في وصيته المباركة (التذكير المصطفى لأولاد المصطفى): « وحافظوا أيها الأولاد والإخوان على الآداب المحمدية والأخلاق النبوية وربوا أولادكم بالتربية العلوية، فتربية البنين والبنات من أهم المهمات التي أضاعها الناس في هذه الأوقات، بل هي أساس الدين، وعليها المدار عند السلف الصالحين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: **ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن**. ومعنى نحل: أعطى، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن؛ فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه**. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **لأن يؤدب الرجل ولده**... أو قال:...**أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع**. وقال عليه الصلاة والسلام: **يأتي على الناس زمان لأن يربي فيه الرجل جرواً خير له من أن يربي فيه ولداً**. وذلك عند فساد الأزمنة والأمكنة، وفساد المربين والأساتذة المفسدين الذين سلِّمَت إليهم مدارس المسلمين بعد أنت تخرجوا على أيدي المشركين الضالين المضلين، أو على أيدي المسلمين المنافقين المذبذبين، يأتي إليهم الولد الناشئ على الفطرة فيسقونه ويروونه من مياههم الخبيثة المرة فيعود إلى أهله بعد حين وقلبه ناشف من الخير بالمرة ليس فيه من ماء الإيمان قطرة، ولقد صدق عليه الصلاة والسلام حيث قال: **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**. وذلك بإدخال الوالد ولده إلى مدارس اليهود والنصارى أو المدارس التي تخرجت أساتذتها على أيدي اليهود والنصارى فإنها في الإفساد والإغواء والإضلال سواء، مائلات عن الاعتدال والاستقامة والسواء، فكيف يجوز للمسلمين أن يسلموا مدارسهم إلى هؤلاء الشياطين المضلين؟ وكيف يجوز لاباء أن يسلموا أولادهم وقرة أعينهم إلى هؤلاء المربين المفسدين؟ ولو قيل لهم أتحبون أن تكون أولادكم على مثال أساتذتهم في العلوم والأخلاق لقالوا بأجمعهم لا ومن خلق السبع الطباق، وقد أشار خير العباد وسيد أهل الرشاد إلى ما سيكون في أمته من الإضلال والإفساد بقوله عليه الصلاة والسلام:

لتتبعن سنن الذن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: **فمن؟**

وقد بلغنا عن سيدي الإمام العارف بالله أحمد بن إدريس المغربي أنه دخل إلى بعض مدارس زمانه ولما خرج منها قيل له كيف رأيت رجال التدريس؟ قال رأيت كراريس بأيدي أباليس، وليت شعريماذا يقول لو رأى أساتذة مدارس هذا الزمن الخسيس الذي يلعب بهم لعب الصبيان بالكرة شيخهم إبليس؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون »[١٩٥] اهـ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[١٩٥] ( ) التذكير المصطفي: ٣٥-٣٧.

مقدمة الكتاب: ١
قصة إبراهيم مع أبيه آزر: ٣
باعث هذا الأمر: ٤
حقيقة المكابدة: ٤
أفضل القصد والفعل والقول: ٦
حقيقة العلم وأقوال العلماء: ٧
أسلافنا الصالحون نعم القدوة المثلى: ١٣
العلويون والطريقة العلوية بحضرموت: ١٥
الطريقة العلوية بين الموافقة والمعارضة: ٢٤
المدارس المعارضة والمناوئة للعلويين بحضرموت: ٢٥
الأخذ بطريق السلف الصالح ليس ابتداع ولا هروب: ٣٤
المدرستا لعلوية الصوفية الأشعرية ومنهاجها: ٣٦
الإنكار على الصالحين من سمات هذا العصر: ٤٣
الدعوة إلى الله تعالى لسان حال السلف الصالح: ٥١
جوهر الدعوة الإسلامية ودوافعها: ٥٥
الطريقة العلوية مدرسة تربوية لا دعوة سياسية: ٦٣
المنهاج السلفي في التربية والتعليم والثقافة: ٧٠
قواعد الميل القلبي إلى المؤلفات والمصنفات: ٧٧
المرأة في المنهاج السلفي العلوي: ٨٠
قواعد العمل بالطريق الصالح: ٨٨
منهاج الطاعة قدر الاستطاعة: ٩١
أدعية آخر الليل والصباح: ٩٣
وسائل الطريق: ٩٦

التواصي بالحق قاعدة تربوية علوية إلى اليوم ونماذج من وصايا السلف: ١٠٦
الوصية الأولى: ١٠٧
الوصية الثانية: ١٠٨
الوصية الثالثة: ١١٠
الوصية الرابعة: ١١٢
قطعت جهينة قول كل خطيب: ١٢٦
خاتمة شريفة ١٢٨